الفصل التاسع والسبعون

النصرانية بين الجاهليين

ولم تكن اليهودية ، الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلاً الى جزيرة العرب ، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقاً لها الى العرب ، هي الديانة النصرانية . وهي ديانة أحدث عهداً من الديانة الأولى ، لأنها قامت بعدها ، ونشأت على أسسها ومبادئها ، ولكنها كانت أوسع أفقاً وتفكيراً من الأولى . فبينما حبست اليهودية نفسها في بني اسرائيل ، وجعلت إلهها إلـه بني اسرائيل شعب الله المختار ، جعلت النصرانية ديانتها ديانة عالمية جاءت لجميع البشر . وبينما قيّدت اليهودية أبناءها بقيود تكاد تضبط حركاتهم وسكناتهم ، وفرضت عليهم فروضاً ثقيلة ، نجد النصرانية أكثر تساهلاً وتسامحاً ، فلم تقيد أبناءها بقيود شديدة ، ولم تفرض عليهم أحكاماً اشترطت عليهم وجوب تنفيذها . وقد قام رجال الدين النصارى منذ أول نشأتها بالتبشير بها ، وبنشرها بين الشعوب ، وبذلك تميزت عن اليهودية التي جمدت ، واقتصرت على بني اسرائيل .

ولفظة (النصرانية) و (نصارى) التي تطلق في العربية على أتباع المسيح ، من الألفاظ المعربة . يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هو : (نصرويو) Nosroyo ، (نصرايا) Nasraya [1] ، ويرى بعض آخر أنها من Nazerenes التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح . وقد وردت في

---

١ عرائب اللغة (ص ٢٠٧) ، Ency., III, p. 848.

العهد الجديد في (أعمال الرسل) حكاية على لسان يهود[1] . ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة (بالناصرة) التي كان منها (يسوع) حيث يقال : (يسوع الناصري) أو أن لها صلة بـ (الناصريين) Nasarenes = Nazarenes احدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة . وقد بقي اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح (النصارى) ، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم ، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين .

ولعلماء اللغة الاسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها ، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلاً . وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة الى الناصرة التي نسب اليها المسيح[2] . وزعم بعض منهم أنها نسبة الى قرية يقال لها (نصران) ، فقيل نصراني وجمعه نصارى[3] . وذكر أن (النصرانة) هي مؤنث النصراني[4] .

ولم أعثر حتى الآن على نص جاهلي منشور وردت فيه هذه التسمية . أما في الشعر الجاهلي ، وفي شعر المخضرمين، فقد ذُكر ان أمية بن أبي الصلت ذكرهم في هذا البيت :

أيام يلقى نصاراهم مسيحهم والكائنين له وداً وقربانا[5]

وذكر ان شاعراً جاهلياً ذكر النصارى في شعر له ، هو :

اليكَ تعدو قلقا وضينها معترضاً في بطنها جنينها
مخالفاً دين النصارى دينها

---

١ أعمال الرسل : الاصحاح ٢٤ ، الآية ٥ « فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ، ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين » .
Ency. Relig. Ethic., III, p. 574.

٢ اللسان (٦٨/٧) ، تاج العروس (٥٦٨/٣) ، (نصر) .

٣ المفردات ، للاصفهاني (ص ٥١٤) .

٤ فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما أسجدت نصرانة لم تحنف
اللسان (٦٨/٧) ، (نصر) ، « والنصرانية واحدة النصارى » ، تاج العروس (٣/ ٥٦٩) ، (نصر) .

٥ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٨٧) .

وذكر ان جابر بن حُنّى قال :

وقد زعمت بهراء ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم[1]

وان حاتماً الطائي قال في شعر له :

وما زلت أسعى بين نابٍ ودارة بلحيانَ حتى خفت أن أتنصرا[2]

وان (طخيم بن أبي الطخماء) قال في شعر له في مدح بني تميم :

وإني وإن كانوا نصارى أحبّهم ويرتاح قلبي نحوهم ويُتَوَّق[3]

وان حسان بن ثابت قال :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد[4]

غير ان هذه الأبيات وأمثالها إن صح انها لشعراء جاهليين حقاً، هي من الشعر المتأخر الذي قيل قبيل الاسلام . أما قبل ذلك ، فليس لنا علم بما كان العرب يسمّون به النصارى من تسميات .

والذي نعرفه أن قدماء النصارى حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون: (تلاميذ) Disciples ، و (تلاميذ المسيح) ، ذلك أنهم كانوا ينظرون الى المسيح نظرتهم الى معلم يعلمهم[5] وكذلك نظروا الى حواريه ، فورد (تلاميذ يوحنا) وقصدوا بذلك النصارى[6] . وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعملها النصارى للتعبير عن أنفسهم .

كذلك دعا قدماء النصارى جماعتهم بـ (الاخوة) وبـ (الاخوة في الله) Brethren in Lord للدلالة على الجماعة ، وبـ (الأخ) للتعبير عن المفرد ،

---

١ النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (ص ١٧١ ، ٢٢٥) ، شعراء النصرانية (١٩٠) ، المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ ، (٦٢٠ وما بعدها) .

٢ الاغاني (١٠٤/١٦) ، النصرانية وآدابها ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، القسم الاول (١٧١، ٢٢٥) .

٣ المشرق ، السنة السابعة ١٩٠٤ (٦٢٠ وما بعدها) .

٤ ديوان حسان (٢٤) .

٥ Hastings, p. 192.

٦ انجيل مرقس : الاصحاح الثاني ، الآية ١٨ .

ذلك لأن العقيدة قد آخت بينهم ، فصار النصارى كلهم اخوة في الله وفي الدين[1]. ثم تخصصت كلمة (الأخ) برجل الدين[2] . ودعوا أنفسهم (القديسين) Saints[3] والمؤمنين[4] والمختارين الأصفياء والمدعوّين ، ويظهر أنها لم تكن علمية ، وإنما وردت للإشارة الى التسمية التي تليها .

وقد كنى عن مجتمع النصارى بـ (الكنيسة) Ecclesia ، وتعني (المجمع) في الاغريقية ، بمعنى المحل الذي يجتمع فيه المواطنون . فكنى بها عن المؤمنين وعن الجماعة التابعة للمسيح . كما عبر عن النصارى بـ (الفقراء) وبـ (الأصدقاء)[5].

وقد عرف النصارى بـ Christians نسبة الى Christos اليونانية التي تعني (المسيح) Messiah ، أي المنتظر المخلص الذي على يديه يتم خلاص الشعب المختار . ويسوع هو المسيح ، أي المنتظر المخلص الذي جاء للخلاص كما جاء في عقيدة أتباعه ، ولذلك قيل لهم أتباع المسيح . فأطلقت عليهم اللفظة اليونانية، وعرفوا بها ، تمييزاً لهم عن اليهود . وقد وردت الكلمة في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الأولى الى أهل كورنتوس[6] .

أما في القرآن الكريم وفي الأخبار ، فلم ترد هذه اللفظة اليونانية الأصل. ولهذا نجد ان العربية اقتصرت على إطلاق (نصارى) و (نصراني) و (نصرانية) على النصارى تمييزاً لهم عن أهل الأديان الأخرى . أما مصطلح (عيسوي) و (مسيحي) ، فلم يعرفا في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي ، فهما

---

١ Hastings, p. 104.

٢ أعمال الرسل ، الاصحاح الاول ، الآية ١٥ وما بعدها ، Ency. Reli. Ethic., 3, p. 573.

٣ رسالة بولس الرسول ، الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس ، الاصحاح الاول ، الآية الاولى وما بعدها .

٤ أعمال الرسل : الاصحاح الخامس ، الآية ١٤ ، رسالة بولس الرسول الى أهل أفسس ، الاصحاح الاول : الآية الاولى وما بعدها .

٥ Ency. Reli. Ethic., 3, p. 574.

٦ أعمال الرسل : الاصحاح الحادي عشر : الآية ٢٦ ، الاصحاح ٢٦ ، الآية ٢٨ ، رسالة بولس الاولى الى أهل كورنتوس : الاصحاح الرابع ، الآية ١٦ ، Hastings, p. 127.

من المصطلحات المتأخرة التي أطلقت على النصارى[1] . وقد قصد في القرآن الكريم بـ (أهل الانجيل)[2] النصارى ، إذ لا يعترف اليهود بالانجيل . وقد أدخل علماء اللغة اللفظة في المعربات[3] .

وأهم علامة فارقة ميزت نصارى عرب الجاهلية عن العرب الوثنيين ، هي أكل النصارى للخنازير ، وحملهم للصليب وتقديسه . ورد ان الرسول قال لراهبين أتياه من نجران ليبحثا فيما عنده : « يمنعكما عن الاسلام ثلاث : أكلكما الخنزير ، وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد »[4] . وورد انه رأى (عدي بن حاتم الطائي) وفي عنقه صليب من ذهب ، لأنه كان على النصرانية[5] .

وورد في شعر ذي الرمة :

ولكنّ أصل امرىء القيس معشرٌ يحل لهم أكل الخنازير والخمر[6]

يريد انهم نصارى في الأصل، فهم يختلفون عن المسلمين في أكلهم لحم الخنزير وفي شربهم للخمر .

وقد أقسم النصارى بالصليب . هذا (عدي بن زيد) يحلف به في شعر ينسب اليه ، فيقول :

سعى الأعداء لا يألون شراً عليك ورب مكة والصليب[7]

ليس في استطاعتنا تعيين الزمن الذي دخلت فيه النصرانية الى جزيرة العرب . وتحاول مؤلفات رجال الكنائس رد ذلك التاريخ الى الأيام الأولى من التأريخ النصراني[8] ، غير اننا لا نستطيع اقرارهم على ذلك ، لأن حججهم في ذلك غير

---

١ Hughes, Dictionary of Islam, p. 431.
٢ المائدة ، الآية ٤٧ .
٣ النهاية في غريب الحديث (١٣٦/٤) ، المعرب ، للجواليقي (٢٣) .
٤ البلاذري (٧١) .
٥ اللسان (٤٤٣/١٣) ، (وثن) ، السيوطي ، الدر المنثور (٧٥/١٠) .
٦ النصرانية (٧٥) .
٧ شيخو ، شعراء النصرانية (٤٥١) .
٨ النصرانية وآدابها ، القسم الاول ، تأليف لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ م .

كافية للاقناع . ولذلك ، فليس من الممكن تثبيت تأريخ لانتشارها في هذه الأماكن في الزمن الحاضر ، وليس لنا إلا التفتيش عن أقدم الوثائق المكتوبة للوقوف عليها بوجه لا يقبل الشك ولا التأويل . ونحن أمام بحث علمي، يجب ان تكون العاطفة بعيدة عنه كل البعد .

واذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة ، فإن دخول النصرانية اليها كان بالتبشير وبدخول بعض النساك والرهبان اليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا ، وبالتجارة،وبالرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة . أما هجرة نصرانية كهجرة يهود الى الحجاز أو اليمن أو البحرين ، فلم تحدث ، ذلك لأن النصرانية انتشرت في انبراطورية الروم والساسانيين بالتدريج،ثم صارت ديانة رسمية للقياصرة والروم وللشعوب التي خضعت لهم . فلم تظلّ النصرانية أقلية هناك ، لتضطر الى الهجرة جماعة وكتلة الى بلد غريب . لذلك كان حديثنا عن نصارى العرب من حيث الأصل والأرومة، يختلف عن حديثنا عن أصل يهود اليمن أو الحجاز .

وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من علم ومن وقوف على الطب والمنطق ووسائل الإقناع وكيفية التأثير في النفوس ، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القبائل فأدخلوهم في دينهم ، أو حصلوا منهم على مساعدتهم وحمايتهم . فنسب دخول بعض سادات القبائل ممن تنصر الى مداواة الرهبان لهم ومعالجتهم حتى تمكنوا من شفائهم مما كانوا يشكون منه من أمراض . وقد نسبوا ذلك الى فعل المعجزات والبركات الإلهية ، وذكر بعض مؤرخي الكنيسة أن بعض أولئك الرهبان القديسين شفوا بدعواتهم وببركات الربّ النساء العقيمات من مرض العقم فأولدن أولاداً . ومنهم من توسل الى الله أن يهب لهن ولداً ذكراً ، فاستجاب دعوتهم، فوهب لهم ولداً ذكراً ، كما حدث ذلك لضجعم سيد الضجاعمة ، اذ توسل أحد الرهبان الى الله أن يهب له ولداً ذكراً ، فاستجاب له . فلما رأى ضجعم ذلك ، دخل في دينه وتعمد هو وأفراد قبيلته[1] . ومنهم من شفى بعض الملوك العرب من أمراض كانت به مثل (مارايشو عزخا) الراهب . ذكروا أنه شفى النعمان ملك الحيرة من مرض عصبي ألم به ، وذلك بإخراجه الشيطان

---

١ النصرانية وآدابها (١/٣٥) ، Sozomene, Hist. Eccl., VI, 38.

من جسده [1] .

وفي تواريخ الكنيسة قصص عن أمثال هذه المعجزات المنسوبة الى القديسين ، كالتي نسبوهـا الى القديس (سمعان العمودي) (المولود نحـو سنة ٣٦٠ م) يذكرونها على انها كانت سبباً في هداية عـدد من الأمراء وسادات القبائـل الى النصرانية،وبفضل تنصرهم دخل كثير من أتباعهم في هذا الدين[2] . وكالتي نسبوها الى القديس (أفتميوس) الـذي نصر بفضل هذه المعجزات جمعاً من الأعراب وأسكنهم في أماكن خاصة أنشأ فيها كنائس أطلق عليها في اليونانية ما معناه(المحلة) أو (المعسكر)[3] .

ولم يعبأ المبشرون بالمصاعب والمشقات التي كانوا يتعرضون لها ، فدخلوا مواضع نائية في جزيرة العرب ، ومنهم من رافقوا الأعراب ، وعاشوا عيشتهم ، وجاروهم في طراز حياتهم ، فسكنوا معهم الخيـام ، حتى عرفوا بـ (أساقفة الخيـام) وبـ (أساقفة أهل الوبر) ، وبأساقفة القبائل الشرقية المتحالفـة وبأساقفة العرب البادية . وقد ذكـر ان مطران (بصرى) كان يشرف على نحو عشرين أسقفاً انتشروا بين عرب حوران وعرب غسان وقـد نعتوا بالنعوت المذكورة ، لأنهم كانوا يعيشون في البادية مع القبائل عيشة أهل الوبر[4] .

وقد دخل أناس من العرب بالنصرانية باتصالهم بالتجار النصارى وبمجالستهم لهم . روي ان رجلاً من الأنصار ، يقال له (أبو الحصين) ، كان له ابنان، فقدم تجار من الشأم الى المدينة يحملون الزيت ، فلما باعوا وأرادوا ان يرجعوا ، أتاهم ابنا أبـي الحصين ، فدعوهما الى النصرانية،فتنصرا فرجعا الى الشأم معهم[5] .

ودخلت النصرانية جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج ، هي تجارة الرقيق من الجنسين ، فقد كان تجار هذه المادة المهمة الرابحة يستوردون بضاعتهم من أسواق عالمية مختلفة ، ولكن أثمن هذه البضاعة وأغلاها هي البضاعة المستوردة من انبراطوريتي الروم والفرس ، لمميزات كثيرة امتازت بها عن الأنواع المستوردة

---

١ الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، للقس بولس شيخو (ص ٣٢ ، ٤٧) .
٢ النصرانية وآدابها (١/ ٨١ وما بعدها) .
٣ المشرق : السنة الثانية عسرة ، الجزء ٥ ، آذار (١٩٠٩ م) ، (ص ٣٤٤ وما بعدها).
٤ النصرانية (١/ ٣٧) .
٥ تفسير الطبري (٣/ ١٠) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠ وما بعدها) .

من إفريقية مثلاً . فقد كان صنفها من النوع الغالي الممتاز بالجمال والحسن والاتقان ثم بالابتكار وبالقيام بأعمال لا يعرفها من هم من أهل إفريقية . ومن الروميّات والصقلبيات والجرمانيات من صرن أمهات لأولاد عدوا من صميم العرب . وقد كان أكثرهن ، ولا سيما قبيل ظهور الاسلام ، على النصرانية . ومن بينهن من خلدت أسماؤهن لتتحدث للقادمين من بعدهم من الأجيال عن أصولهن في العجم وعن الدين الذي كنّ عليه .

وقد كان في مكة وفي الطائف وفي يثرب وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب رقيق نصراني كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء في التوراة والأناجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانياً ويتحدث اليهم عن النصرانية ، ومنهم من تمكن من اقناع بعض العرب في الدخول في النصرانية ، ومنهم من أثر على بعضهم ، فأبعده عن الوثنية ، وسفه رأيها عندهم ، لكنهم لم يفلحوا في ادخالهم في دينهم ، فبقوا في شك من أمر الديانتين ، يرون أن الحق في توحيد الله وفي اجتناب الأوثان ، لكنهم لم يدخلوا في نصرانية ، لأنها لم تكن على نحو ما كانوا يريدون من التوحيد وتحريم الخمر وغير ذلك مما كانوا يبتغون ويشترطون .

وقد أثرت الأديرة تأثيراً مهماً في تعريف التجار العرب والأعراب بالنصرانية . فقد وجد التجار في أكثر هذه الأديرة ملاجىء يرتاحون فيها ومحلات يتجهزون منها بالماء ، كما وجدوا فيها أماكن للهو والشرب : يأنسون بأزهارها وبخضرة مزارعها التي أنشأها الرهبان ، ويطربون بشرب ما فيها من خمور ونبيذ معتق امتاز بصنعه الرهبان . وقد بقيت شهرة تلك الأديرة بالخمور والنبيذ قائمة حتى في ايام الاسلام . ومن هؤلاء الرهبان ومن قيامهم بشعائرهم الدينية، عرف هؤلاء الضيوف شيئاً عن ديانتهم وعما كانوا يؤدونه من شعائر . وقد أشير الى هؤلاء الرهبان الناسكين في الشعر الجاهلي ، وذكر عنهم انهم كانوا يأخذون المصابيح بأيديهم لهداية القوافل في ظلمات الليل[1] .

وقد كانت هذه الأديرة ، وهي بيوت خلوة وعبادة وانقطاع الى عبادة الله والتفكير فيه ، مواطن تبشير ونشر دعوة . وقد انتشرت حتى في المواضع القصية من البوادي. واذا طالعنا ما كتب فيها وما سجله أهل الأخبار أو مؤرخو الكنائس

---

١ Wellhausen, Reste, S. 232.

عن أسمائها ، نعجب من هذا النشاط الذي عرف به الرهبان في نشر الدعوة وفي اقامة الأديرة للاقامة فيها في مواضع لا تستهوي أحداً . وهي متقاربة عديدة في بلاد العراق وفي بلاد الشأم . بل نجد لها ذكراً حتى في الحجاز ونجد وفي جنوبي جزيرة العرب وشرقيها : تتلقى الاعانات من كنائس العراق والشأم ومن الروم ، حتى تمكنت من التبشير بين أكثر القبائل . ولولا ظهور الاسلام ونزول الوحي على الرسول في الحرمين ، لكان وجه العالم العربي ولا شك غير ما نراه الآن . كان العرب على دين النصرانية وتحت مؤثرات ثقافية أجنبية ، هي الثقافة التي اتسمت بها هذه الشيع النصرانية المعروفة حتى اليوم .

وقد ذكر (ابن قتيبة الدينوري) : ان النصرانية كانت في ربيعة ، وغسان، وبعض قضاعة [1] . وقال (اليعقوبي) : « وأما من تنصر من أحياء العرب ، فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى ، منهم عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، وورقة بن نوفل بن أسد . ومن بني تميم : بنو امرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة : بنو تغلب ، ومن اليمن: طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم »[2] .

وطبيعي أن يكون انتشار النصرانية في العرب ببلاد الشأم واضحاً ظاهراً أكثر منه في أي مكان آخر . وأقصد ببلاد الشأم ما يقصده علماء الجغرافيا العرب من هذا المصطلح . فقد كان لعرب هذه الديار علاقة مباشرة واتصال ثقافي بغيرهم من سكان هذه الأرضين الذين دخل أكثرهم في الديانة النصرانية ، والذين صارت هذه الديانة ديانة بلادهم الرسمية بعد دخول الروم فيها واتخاذهم النصرانية ديناً رسمياً للدولة منذ تنصر أول قيصر من القياصرة . فكان من أول واجبات الروم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم ، لا تقرباً الى الله وحده ، بل لتمكين سلطانهم عليهم . واخضاعهم روحياً لهم . ولهذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية بين أتباعها وفي الخارج وارسال المبشرين والاغداق عليهم ومدهم بالأموال لنشر الدعوة وتأسيس مكاتب للتبشير ، وبالفعلة لبناء الكنائس الفخمة الجميلة على طراز فني أنيق جميل غير معروف بين من سيبشر بهذا الدين بينهم . وبذلك تبهر عقولهم ، فتشعر أن للدين الجديد مزايا ليست في دينهم ، وأن معابده أفخم من

---

١ المعارف (٦٢١) ، البدء والتاريخ (٤/٣١) ، الاعلاق النفيسة (٢١٧) .
٢ اليعقوبي (١/٢٢٧) .

معابدهم ، ورجال دينه أرقى من رجال دينهم . وبذلك يأتون اليها . وللبهرجة والفخفخة أثر عظيم في كثير من الناس ، فالعين عند أكثر البشر ، تقوم مقام العقل . وقد يكون ما قام به الأحباش في اليمن من انشاء الكنائس العظيمة فيها وتفننهم في تزويقها وتجميلها وفي فرشها بأفخر الرياش والفراش لصرف الناس عن الكعبة كما يزعم أهل الأخبار دليلاً على ما أقول .

وقد وجدت النصرانية لها سبيلاً بين عرب بلاد الشأم وعرب بادية الشأم والعراق . فدخلت بين (سليح) ، و (الغساسنة) ، و (تغلب) ، و (تنوخ) ، و (لخم) ، و (إياد)[1] . وقد انتشرت بين عرب بلاد الشأم بنسبة تزيد على نسبة انتشارها بين عرب بلاد العراق ، وهو شيء طبيعي ، فقد كانت بلاد الشأم تحت حكم البيزنطيين ، وديانتهم الرسمية ، هي الديانة النصرانية ، وكانوا يعملون على نشرها وترويجها بين شعوب (انبراطوريتهم) ، وبين الشعوب الأخرى ، لا سيما الشعوب التي لهم مصالح اقتصادية معها . ففي نشر النصرانية بينهم وادخالهم فيها ، تقريب لتلك الشعوب منهم ، وتوسيع لنفوذهم السياسي بينهم ، وتقوية لمعسكرهم المناهض لخصومهم الفرس ، أقوى دولة معادية لهم في ذلك الوقت . ولهذا سعت القسطنطنية لادخال عربهم في النصرانية ، وعملت كل ما أمكنها عمله للتأثير على سادات القبائل لادخالهم في دينهم ، بدعوتهم لزيارة كنائسهم وبارسال المبشرين اللبقين اليهم ، لاقناعهم بالدخول فيها ، وبارسال الأطباء الحاذقين اليهم لمعالجتهم ، وللتأثير عليهم بذلك في اعتناق النصرانية . كما دعوهم لزيارة العاصمة ، لمشاهدة معالمها ولابهار عقولهم بمشاهدة كنائسها ، والاتصال بكبار رجال الدين فيها ، لتعليمهم أصول النصرانية . وأظهروا لهم مختلف وسائل المعونة والمساعدة إن دخلوا في ديانتهم ، وبذلك أدخلوهم في النصرانية فصاروا اخواناً للروم في الدين .

نعم ، دخل سادات القبائل والحكام العرب التابعون لهم في هذه الديانة ، فصاروا نصارى ، ولكنهم لم يأخذوا نصرانية الروم ، بل أخذوا نصرانية شرقية مخالفة لكنيسة (القسطنطنية) . فاعتنقوها مذهباً لهم . وهي نصرانية عدت (هرطقة) وخروجاً على النصرانية الصحيحة (الأرثوذكسية) في نظر الروم . نصرانية متأثرة

---

١ اليعقوبي (١/٢٢٧) ، (أديان العرب) .

بالتربة الشرقية ، وبعقليـــة شعوب الشرق الأدنى ، نبتت من التفكير الشرقي في الدين ، ولهذا تأثرت بها عقلية هذه الشعوب فانتشرت بينها ، ولم تجد لها اقبالاً عند الروم وعنـــد شعوب أوروبة . وكان من جملة مميزاتها عكوفها على دراسة العهد القديم ، أي التوراة ، أكثر من عكوفها على دراسة الأناجيل[1] .

والنصرانية التي شاعت بين عرب بلاد الشأم ، هي النصرانيـــة اليعقوبية ، أو المذهب اليعقوبـي بتعبير أصح . وهو مذهب اعتنقه أمراء الغساسنة وتعصبوا له ، ودافعوا عنه ، وجادوا رجال الدين في القسطنطنية وفي بلاد الشأم في الذب عنه . فزعم مثلاً أن (الحارث بن جبلة) (ملك العرب النصارى) تغلب في مناظرة جرت له مع (البطريرك افرام) (٥٢٦ – ٥٤٥ م) على (البطريرك) وأفحمه في جوابه . وكان افرام ، وهو على مذهب (الملكيـــين) ، قد قصده لاقناعه بترك المذهب (المنوفيزيتي) والدخول في مذهبه[2] . ونسبوا الى (المنذر بن الحارث) دفاعاً شديداً عن (المنوفيزيتية) ،أي المذهب الذي كان عليه الغساسنة من مذاهب النصرانية ، وذكروا أنه أنب (البطريرك دوميان) وهو في القسطنطنية على تهجمه على (المنوفيزيتيين) ، وعمل جهده في التقريب بـــين مذهبه ومذهب القيصر ، واتصل بالقيصر (طيباريوس) (٥٧٨ – ٥٨٢ م) ليعمل على بث روح التسامح بين المذاهب النصرانية وترك الحرية للأفراد في دخول المذهب الذي يريدونه والصلاة في أية كنيسة يريدها النصراني[2] .

ويظهر ان بعض الضجاعمة الذين كانوا يتولون حكم عرب الشأم قبل الغساسنة كانوا على دين النصرانية . غير انا لا نستطيع ان نحكم على أي مذهب من مذاهب النصرانية كانوا . فذكروا ان (زوكوموس) ، وهو (ضجعم) جد الضجاعمة تنصر على يد أحد الرهبان ، وذلك ان هذا الرئيس كان متلهفاً الى مولود ذكر ، فجاءه هذا الراهب ، وتضرع الى الله ان يهبه ولداً ذكراً ، فلما استجاب الله له تعمّد وتبعته قبيلته[3] .

---

١ Nöldeke, Geschichte des goraus, I, S. 7.

٢ المشرق ، السنة الرابعة والثلاثون ، كانون الثاني – آذار ، ١٩٣٦ (ص ٦١ وما بعدها) .

٣ النصرانية (١/٣٥) .

وقد كان مشهد القديس (سرجيوس) في (الرصافة) ، من أهم المزارات التي تقصدها المتنصرة من عرب الشأم ، مثل الغساسنة وتغلب . وقد تقرب اليه بعض ملوك الغساسنة بتقديم الهدايا والنذور اليه وبتزيينه وبزيارته، وبالاعتناء بالمدينة وبصهاريجها تكريماً له ، وتقرباً اليه ، وظل هذا المزار مقصوداً مدة في الاسلام. وقد عدّ التغلبيون هذا القديس شفيعهم،جعلوا له راية حملوها معهم في الحروب ، وكانوا يحملونها مع الصليب تبركاً وتيمناً بالنصر[1] .

وكان حاضر (قنّسرين) لتنوخ . أقاموا في طرفها هذا منذ زمن قديم ، مذ أول نزولهم بالشأم . نزلوا في طرفها وتنصروا . فلما حاصر (أبو عبيدة) المدينة ، دعاهم الى الاسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنو سليح . كذلك كان في طرف قنسرين عشائر من طيء ، نزلوا بها في الجاهلية على أثر الحروب التي وقعت فيما بينهم ، واستدعت تفرقهم ، فأقاموا عند قنسرين مع القبائل العربية الأخرى التي جاءت الى هذا المكان[2] .

وكان بقرب مدينة (حلب) حاضر يدعى (حاضر حلب) يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم . فلما جاء (أبو عبيدة) الى المدينة ، صالح من فضّل البقاء منهم على دينه على الجزية ، ثم أسلم الكثير منهم فيما بعد[3] .

وتعد بهراء في جملة القبائل العربية المتنصرة عند ظهور الاسلام . تنصرت كما تنصرت غسان وسليح وتنوخ وقوم من كندة ، وذلك لنزولها في بلاد الشأم ولاتصالها بالروم[4] .

---

١ قال الاخطل :

لما رأونا ، والصليب طالعا ، ومار سرجيس ، وسما ناقعا
وأبصروا راياتنا لوامعا خلوا لنا راذان والمزارعا

فأجابه جرير :

أفبالصليب ومار سرجيس تتقي شهباء ذات مناكب جمهورا

وقال :

يستنصرون بمار سرجيس وابنه بعد الصليب ومالهم من ناصر

المشرق ، السنة الرابعة والثلاثون ، بيسان ـ حزيران ، ١٩٣٦ ، (ص ٢٤٦ وما بعدها) .

٢ البلاذري، فتوح (١٥٠ وما بعدها)، (أمر جند قنسرين والمدن التي تدعى العواصم) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

٤ اليعقوبي (٢٩٨/١) ، الخراج (١٤٦) ، النصرانية (١٢٥) .

وقد سكن قوم من (إياد) السواد والجزيرة ، وسكن قوم منهم بلاد الشأم، فخضعوا للغساسنة وللروم وتنصروا . وهم في جملة القبائل التي لم يأخذ علماء العربية اللسان عنها لمجاورتها أهل الشأم ، ولتأثرها بهم:وهم قوم يقرؤون ويكتبون بالسريانية ، فتأثروا بهم ، لروابط الاحتكاك والثقافة والدين[1] .

وقد ترك لنا رجل من نصارى الشأم نصاً قصيراً مؤرخاً بسنة (٤٦٣) المقابلة لسنة (٥٦٨) للميلاد ، وهي غير بعيدة عن ميلاد الرسول جاء فيها : « نا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم) ، أي (أنا شراحيل بن ظالم بنت ذا المرطول بعد مفسد (خيبر) بعام) . هو على قصره ذو أهمية عظيمة من الناحية اللغوية ، إذ هو النص الجاهلي الوحيد الذي وصل الينا مكتوباً باللهجة التي نزل بها القرآن الكريم . وهو على ما أعلم النص الجاهلي الوحيد أيضاً الذي وصل الينا مكتوباً بصيغة المتكلم،فالنصوص الأخرى التي وصلت الينا والمكتوبة بمختلف اللهجات العربية مدوّنة كلها بضمير الغائب . وهو أيضاً من النصوص العربية القليلة التي تركها النصارى العرب لمن بعدهم في بلاد الشأم .

وقد استغل الروم العربَ المتنصرة بأن أثاروا في نفوسهم العواطف الدينية على المسلمين ، حينما عزم المسلمون على فتح بلاد الشأم وطرد البيزنطيين منها، وأغروا سادات القبائل بالمال وبالهدايا وبالوعود حتى اشتروهم فصاروا الى جانبهم . والمصالح الشخصية هي فوق كل مصلحة عند سادات القبائل ، لا تعلوها عندهم مصلحة ، فانضموا اليهم ، وجاءوا بقبائلهم لتحارب معهم . ومن هذه القبائل العربية التي حاربت مع الروم ، غسان . حاربوا معهم في معارك عديدة . ففي يوم اليرموك كانوا في صفوف الروم ، وكان رئيسهم (جبلة بن الأيهم الغساني) في مقدمة الجيش الذي أرسله هرقل لمحاربة المسلمين . كان على رأس مستعربة الشأم من غسان ولخم وجذام[2] . وقد اشترك مع الروم في حروب أخرى ضد المسلمين.

وكانت (سليح) في جملة القبائل العربية المتنصرة التي حاربت المسلمين . ولما تقهقر الروم وانهزموا ، دفعوا الجزية لاحتفاظهم بدينهم . وكذلك كانت عاملة ولخم وجذام في جملة القبائل المتنصرة التي ساعدت الروم ، وآزرتهم . كانوا مع

---

١ المزهر (١/١٠٥) ، النصرانية (١٢٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (١٤٠) ، (يوم اليرموك) .

الروم مثلاً حين مجيء الرسول الى (تبـــوك)[1] . وظلوا الى جانبهم يؤيدونهم ، حتى تبين لهم أن النصر قد تحول للمسلمين ، وأن الهزائم قـــد حالفت الروم ، عندئذ انضمت في جملة من انضم من منتصرة العرب الى المسلمين لمحاربة الروم[2].

وكادت قبيلة (تغلب) الساكنة غرب الفرات ، أن تفر الى بلاد الروم وتلحق بأرض الروم ، لما غلب البيزنطيون على أمرهم وفتحت بـــلاد الشأم والعراق أمام المسلمين . ولما خيرت بين البقاء على دينها ودفع الجزية وبين الدخول في الاسلام، أنفت من دفع الجزية ، ورضيت بدفع ضعف الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض[3] .

وقد نزحت (إياد) الى بلاد الروم وبقيت بها ، ثم عاد جمع منها لاخراج القيصر إياهم ، فنزلوا بلاد الشأم والجزيرة وانضموا الى اخوانهم في الجنس[4] .

ويلي هؤلاء عربُ العراق ، لاحتكاكهم بالنصارى ولانتشار النصرانية في العراق بالرغم من ان ديانة الحاكمين لهذا القطر كانت ديانة أخرى ، وان النصرانية لم تكن في مصلحة الفرس . غير ان الفرس لم يكونوا يبشرون بدينهم ، ولم يكن يهمهم دخول الناس فيه ، إذ عدت المجوسية ديانة خاصة بهم ، وهذا مما صرف الحكومة عن الاهتمام بأمر أديان الخاضعين لها من غير أبناء جنسها، إلا اذا وجدتها تتعارض مع سياستها ، وتدعو الى الابتعاد عنها . ثم إن النصرانيـة التي انتشرت فيها لم تكن من النصرانية المتشيعة للروم ، ولهذا لم تجد الدولة الساسانية من هذه الناحية ما يهدد سياستها بالأخطار ، فغضت النظـر عنها ، وان قاومتهـــا مراراً واضطهدتها ، وفتك ملوكها بعدد من الداخلين فيها ، أشارت اليهم كتب مؤرخو الكنيسة في تواريخهم عن الشهداء القديسين[5] .

وقد أشار أهل الأخبار الى تنصر بعض ملوك الحيرة،ونسبوا اليهم بناء الأديرة

---

١ البلاذري (٧١) ، (تبوك وايلة وأذرح ومقنا والجرباء) .
٢ الخراج (١٣٨) ، (فصل في الكنائس والبيع والصلبان) .
٣ البلاذري (١٨٥) ، (أمر نصارى بني تغلب بن وائل) ، السنن الكبرى (٩/٢١٦) ، الخراج (١٢٠ وما بعدها) .
٤ الطبري (٤/١٩٧ وما بعدها) ، «الجزيرة» .
٥ هنالك عدة مؤلفات في هذا الموضوع ، راجع منها :
Georg Hoffmann, Auszüge aus Syrischen akten Persicher Märtyrer, Leipzig, 1880.

والكنائس ، كما أشار إلى ذلك بعض مؤرخي الكنيسة . كالذي ذكروه عن(المنذر) وعن (النعمان بن المنذر) . غير اننا لا نستطيع اقرار ذلك بوجه عام ، ولا بد من التريث ، إذ يظهر ان أكثر ملوك الحيرة كانوا على الوثنية . وإذا كان كثير من ملوك الغساسنة قد دخلوا في النصرانية فان ظروفهم تختلف عن ظروف ملوك الحيرة . فقد كان الروم ، وهم سادة بلاد الشأم ، على هذه الديانة ، وكانوا يشجعون انتشار النصرانية ويسعون لها ، ولهذا كان لهذه السياسة أثر في الغساسنة أصحاب الروم ، وهم على اتصال دائم بهم بطبيعة حكمهم لبلاد الشأم . أما في العراق ، فلم تكن هذه الديانة ديانة رسمية للحكومة ، انما انتشرت بفضل المبشرين، ولهذا انتشرت بين سواد الشعب،ولم تنتشر بين الملوك. ولم تضغط الحكومة الساسانية على ملوك الحيرة للدخول في هذه الديانة التي لم يكونوا أنفسهم داخلين فيها ، فهي بالاضافة اليهم ديانة غريبة ، لا يعنيهم موضوع انتشارها،ولا يهمهم موضوع انتشارها ، ولا يهمهم شأنها ما دامت لا تتعارض وحكمهم في العراق .

وقد كان (هانىء بن قبيصة الشيباني) ممن كان على النصرانية ، وهو من سادات (بني شيبان) ، ومات وهو على هذا الدين . وكان في جملة من فاوض (خالد بن الوليد) باسم قومه على دفع الجزية للمسلمين .

ومن متنصرة العراق بنو عجل بن لُجيم من قبائل بكر بن وائل . وقد عرف منهم (حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي) الذي سادهم في معركة ذي قار . وقد حاربت (خالد بن الوليد) ، وكان قائدها جابر بن بجير وعبد الأسود . وكان منها في أيام بني أمية أبجر بن جابر . وهو والد حجّار . وقد بقي على نصرانيته في الاسلام[1] .

وكان في الحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة قريش في الأعمال التجارية مثل (كعب بن عدي التنوخي) ، وهو من سراة نصارى الحيرة ، وكان أبوه اسقفاً على المدينة ، وكان هو يتعاطى التجارة ، وله شركة في التجارة في الجاهلية مع (عمر بن الخطّاب) في تجارة البز ، وكان (عقيداً) له . قدم المدينة في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ورأى الرسول ، فأسلم في رواية، ولم يسلم في رواية أخرى . ولما توفي الرسول ، ثبت على الإسلام على رواية من صيّره مسلماً في

---

١ الاغاني (١٣/٤٦ وما بعدها) ، النصرانية (١٣٦) .

أيام الرسول . واشترك في جيش اليمامة الذي أرسله (أبو بكر) ،ووجهه (أبو بكر) في رسالة الى (المقوقس) ، ثم وجهـه (عمر) برسالة اليه في أيامه . وشهد فتح مصر [1] .

وقد أخرجت مدينة الحيرة عدداً من رجال الدين ، مثل مار إيليا وأصله من الحيرة ، والقديس حنانيشوع ، وهو من عرب الحيرة ومن عشيرة الملك النعمان[2] ، والقديس مار يوحنـا [3] ، و (هوشاع) الذي حضر مجمـع اسحاق الجاثليق عام ٤١٠ م ، وشمعون الذي أمضى أعمال مجمع (يهبالا) الذي انعقد سنة ٤٨٦ م، وشمعون الذي حضر مجمع (أقاق) ، و (ايليا) المنعقد سنة ٤٨٦ م وأمضى في سنة ٤٩٧ م مجمع (اباي) ، و (ترساي) الذي تحزب سنة ٥٢٤ م لنرساي الجاثليـق ضد (اليشاع) و (افرام) و (يوسف) ، وقد حضر مجمـع (أيشوعياب الأرزني) الذي انعقد سنة ٥٨٥ م ، وشمعون بن جابر الذي نصّر الملك النعمان الرابع في سنة ٥٩٤ على ما يذكره مؤرخو الكنيسة [4] .

وقـد كان (مـار يشوعياب الأرزوني) Jesujab I. Arzunita المتوفى سنة ٥٩٦ م من أصل عربي . درس الديانة في (نصيبين) Nisibis ، ثم تقدم فصار أسقفاً على (أرزون) Arzun ، ثم ترقى حتى صار (بطريكاً) (بطريقاً) على النساطرة سنة ٥٨٠ م . وقد زار الملك (النعمان) . وتوسط عند الروم لمساعدة (خسرو ابرويز) Chosroes Abruizus ضد (بهرام) Beheram — Varames . وقد توفي في خيم (بني معدّ) (المعديين) Maadenes ، ونقل الى الحيرة فدفن في دير (هند) ابنة النعمان[5] .

وقد عثر على آثار كنائس في خرائب الحيرة ، وأشار أهل الأخبار الى وجود الكنائس والبيع والأديرة في الحيرة . وذكر (ياقوت الحموي) أسماء عـدد من الأديرة كانت بالحيرة أو بأطرافها وبالبادية ، منها : « دير ابن برّاق » بظاهر الحيرة ، و « دير ابن وضّاح » بنواحي الحـيرة ، وديارات الأساقف ، وهي

---

١ الاصابة (٣/٢٨٢) ، (رقم ٧٤٢٢) .
٢ الديورة في مملكتي الفرس والعرب (٣٢ وما بعدها) .
٣ الديورة (٤٧) .
٤ أدى شير (٢/٢٠٨) .
٥ W. Smith, A Dictionary, II, p. 370, John of Ephesus, Eccl. Histo., II, 40 ff.

جملة أديرة كانت بالنجف ظاهر الكوفة بحضرتهـــا نهر الغدير ، ودير الأسكون « وهو بالحيرة راكب على النجف وفيه قلالي وهياكل وفيـــه رهبان يضيفون من ورد عليهم » . ودير الأعور ، بظاهر الكوفة بناه رجل من إياد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهر بن إياد ، ودير بني مرينا ، بظاهر الحيرة عنـد موضع جفر الأملاك ، ودير حنظلة ، منسوب الى حنظلـــة بن أبـي عفراء بن النعمان ، وهم عم إياس بن قبيصة ، وكان من رهـــط (أبـي زبيد) الطائي ، وكان من شعراء الجاهلية ، ثم تنصر وفارق قومه ، ونزل الجزيرة مع النصارى حتى فقه دينهم وبلغ نهايته ، وبنى ديراً عرف باسمه ، هو هذا الدير ، وترهب حتى مات[1] . ودير حنظلة بالحيرة ،وهو منسوب الى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة، ودير حنة ، وهو بالحيرة كذلك بناه المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع، تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم ، لبني أوس بن عمرو بن عامر ، ودير السوا بظاهر الحيرة يتحالفون عنده ، ودير الشاء ، ودير عبد المسيح وهو بظاهر الحيرة بموضع الجرعة بناه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة ، ودير علقمة بالحـــيرة منسوب الى علقمة بن عدي بن الرميك بن توب بن أسس بن دبـي بن نمارة بن لخم ، ودير قرة وهو دير بإزاء دير الجماجم بناه رجل اسمه قرة من بني حذافة ابن زهر بن إياد في أيام المنذر بن ماء السماء ، ودير اللُجّ وهو بالحيرة بنـــاه النعمان بن المنذر أبو قابوس ، و « كان يركب في كل أحد اليه ، وفي كـــل عيد ، ومعه أهل بيته ، خاصة من آل المنذر ، عليهم حلـل الديباج المذهبة ، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب ، وفي أوساطهم الزنانير المفصصة بالجوهر ، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان ، وإذا قضوا صلاتهم ، انصرفوا الى مستشرفه عـــلى النجف ، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقيّة يومه ، وخلع ووهب ، وحمل ووصل ه وكان ذلك أحسن منظر وأجمله »[2] .

ودير مارت (مارة) مريم . وهو دير قديم من أبنية آل المنـــذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر أبـي الخصيب مشرف على النجف ، ودير مار فايثون بالحيرة أسفل النجف ، ودير مر عبدا بذات الأكيراح من نواحـــي الحيرة منسوب الى مر عبدا بن حنيف بن وضاح اللحياني كان مع ملوك الحيرة،

---

١ البكري ، معجم (٥٦٧/٢) ، (دبر حنظلة) .
٢ البكري ، معجم (٥٩٦/٥) ، (دير اللج) .

ودير ابن المزعوق ، وهـو دير قديم بظاهر الحيرة ، ودير هنـد الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحَرْقة ، وكانت به قبور أهلها ، بنته هنـد في ايام (خسرو أنو شروان) في زمن مار افريم الأسقف . وأما الدير المعروف بدير هند الأقدم ، فنسب بناؤه الى هند الكبرى ، أم عمرو بن هند[1] .

هذه أسماء اخترتها من بين أسماء أديرة أخرى كثيرة ذكرها (الشابشتي)[2] ، وياقوت الحموي والبكري ، لأن لها صلة بالحيرة وبمـا جاورها وبالعرب سكان هذه الأرضين . ونجد في بلاد الشأم أديرة أخرى بناها عربها في تلك الديار قبل الاسلام . ونجد على تسميات بعضها الصبغة الإرمية كما في تسمية (مار افريم) (مار افرايم) و (مار عبدا) و (مار فايثون) ، وغيرها . وكلمة (مار) من كلمات بني إرم ، كما نجد الصبغة النصرانية للأعلام واضحة على بعضها كما في عبد المسيح وحنة ومارت مريم وأمثال ذلك ، وهي من الأعـلام التي اختصت بالنصارى . وذلك بسبب ان النصرانيـة كانت متأثرة بثقافة بني إرم ، وكانت تستعمل اللغة الإرمية في الصلوات وفي تأدية الشعائر الدينية الأخري . ولغة بني إرم هي لغة العلم عند النصارى الشرقيين ، فكان من الطبيعي استعمال نصارى العرب لهذه اللغة في كنائسهم وبيعهم وأديرتهم وفي دراستهم للدين وما يتصل باللاهوت من علوم . ومن هنا استعمل كتّابهم قلم بني إرم في كتاباتهم ، ومن هذا القلم تولد القلم النبطي المتأخر الذي تفرع منه القلم العربي الذي كتب به أهل الحجاز عند ظهور الاسلام ، فصار القلم الرسمي للمسلمين .

وقـد نعت الرواة وأهل الأخبار العرب الـتي دانت بالنصرانية بـ (العرب المتنصرة) ، تمييزاً لها عن العرب الآخرين الذين لم يدخلوا في هذه الديانة ، بل بقيت على اخلاصها ووفائها لديانة آبائها وأجدادها ، وهي عبادة الأوثان . ومن القبائل التي يحشرها أهل الأخبار في جملة (العرب المتنصرة) غسان وتغلب وتنوخ ولخم وجذام وسليح وعاملة . ويلاحظ أن الأخباريين يطلقون على هذه القبائل أو على أكثرها (العرب المستعربـة) ، وهم لا يقصدون بذلك نسبها ، لأن من بينها كما نعلم من هو من أصل قحطاني على حسب مذهب أهل الأنساب في نسب

---

١ البكري (٢/٦٠٦) ، البلدان (٤/١١٩ وما بعدها) ، « القول في ذكر الاديرة » .
٢ مطبعة المعارف ، بغداد ، تأريخ كلدو وآثور (٢/٢٩) ، ذخيمة الاذهان (٣١٧) .

القبائل . وإنما يريدون من هذا المصطلح القبائل التي كانت قد سكنت ببلاد الشأم والساكنة في أطراف الانبراطورية البيزنطية وفي سيف العراق من حدود نهر الفرات الى بادية الشأم ، فهو يشمل إذن القبائل النازلة على طرفي الهلال الخصيب وفي طرفي القوس التي تحيط بحدود الانبراطوريتين . وخاصة تلك القبائل التي دانت بالنصرانية وتأثرت بثقافة بني إرم وبلهجتها ، وذلك لظهور هذا الأثر فيها، وعلى لهجتها خاصة ، مما حدا بعلماء اللغة أن يتحرجوا في الاستشهاد بشعرها في قواعد اللغة . والاستشهاد بشعر قبيلة لاثبات القواعد هو أوثق شاهد في نظر العلماء على التسليم بنقاوة لغة القبيلة التي يستشهد بشعرها وأصالتها .

ووجدت النصرانية بعد بلاد الشأم والعراق لها مواضع أخرى دخلت اليها، هي أطراف جزيرة العرب ، كالعربية الغربية والجنوبية والشرقية . وتفسير دخولها الى هذه الأرضين واضح ، هو اتصالها بطرق القوافل البرية والبحرية في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية ، ومجيء التجار النصارى والمبشرين مع القوافل اليها. وتجار النصارى ، لم يكونوا على شاكلة تجار يهود : كانوا يرون أن التجارة هي كسب مادي ، ولكن التبشير مع التجارة ربح مضاعف ، هو ربح في الدارين : الدنيا والآخرة ، فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم في البلاد التي ينزلونها لنشر دينهم فيها. ثم إن في انتشار دينهم بين سكان هذه المواضع التي يطرقونها كسباً لهم ولبلادهم، وأكثرهم من الروم . فإنهم يجدون بتنصر الغرباء ، إخواناً لهم يرون رأيهم ، ويعطفون عليهم . ثم إنهم سيفضلونهم في تعاملهم معهم على غيرهم ، وسيتساهلون معهم ولا شك . ثم إنهم سيقربونهم بتنصيرهم من العالم النصراني ، وممثل هذا العالم وحماته هم الروم .

وكان أهل دومة الجندل خليط ، فيهم نصارى ، قال عنهم أهل الأخبار انهم (من عباد الكوفة)[1] . ويظهر من خبر أسر خالد للأكيدر ومجيئه به على رسول الله ، ومن مصالحة الرسول له على الجزية ، انه كان على النصرانية ، إذ لا تؤخذ الجزية من مشرك[2] .

---

١ البلاذري ، فتوح البلدان (٧٤) . «دومة الجندل» .

٢ « ثم ان خالدا قدم بأكيدر على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته » ، الطبري (١٠٩/٣) ، (دار المعارف) ، (ذكر الخبر عن غزوة تبوك) .

أما (أيلة) ، فكان اسم صاحبها في ايام الرسول (يحنة بن رؤبة) (يوحنا بن رؤبة) . وهو نصراني كما يدل اسمه عليه ، جاء الى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة ، وكان الرسول بها ، فصالحه على الجزية وبقي في محله[1] . وقد دعاه المسعودي (أسقف أيلة)[2] . وورد في محاضر بعض المجامع الدينية (أسقف أيلة والشراة)[3] .

وكان في وادي القرى نفر من الرهبان، كما ورد ذلك في شعر جعفر بن سراقة أحد بني قرة ، وهو :

فريقان : رهبان بأسفل ذي القرى وبالشأم عرافون فيمن تنصرا[4]

وتعد طيء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً اليها . وقد ورد ان (أحودما) (المغريان) تنقل بين طيء في سنة (٨٧٠) لليونان المقابلة لسنة (٥٥٩) للميلاد[5] . وقد كان عدي بن حاتم الطائي في جملة الداخلين في النصرانية من طيء. ويذكر انه كان (ركوسيّاً) ، وفد على الرسول ، وأعلن إسلامه[6] . غير ان هذا لا يعني ان النصرانية كانت هي الغالبة على هذه القبيلة ، فقد كان قوم منها يتعبدون للصنم (الفلس) ، أي على الشرك .

ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب . وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة من الآيات المدنية الى النصارى ، غير ان تلك الاشارات عامة في طبيعة المسيح وفي النصرانية نفسها لا في نصارى يثرب وفي صلاتهم بالاسلام . ثم إن أهل السير لم يشيروا الى تصادم وقع بين النصارى والمسلمين ولا الى مقاومة نصارى يثرب للرسول كالذي وقع بين يهود يثرب والرسول ، مما يدل على ان النصرانية لم تكن قوية في المدينة،وان جاليتها لم تكن

---

١ البلاذري (٦٦) ، السنن الكبرى (١٨٥/٩ وما بعدها) .
٢ التنبيه (٢٧٢) ، النصرانية (٤٤٨) .
٣ النصرانية (٤٤٨) .
٤ الاغاني (٩٦/٧) « نسب جميل وأخباره » .
٥ النصرانية وآدابها ، القسم الاول (١٣٢ وما بعدها) ، Barhebraei, Chronicon Eccl., III, 100.
٦ الاصابة (٤٦١/٢) ، (رقم ٥٤٧٧) ، المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ١١ ، (١٩٠٥)، (٥٠٧) ، النصرانية (١٣٣) .

كثيرة العدد فيها . غير ان هذا لا يعني عدم وجود النصارى في هـذا الموضع الزراعي المهم[1] . فكما كان في مكة رقيق وموالي يقومون بخدمة ساداتهم ، كذلك كان في المدينة نفر منهم أيضاً يقومون بمختلف الأعمال التي يعهد أصحابهم اليهم القيام بها . ولا بد ان تكون لهذه الطبقة من البشر مكانة في هذه المدينة وفي أي موضع آخر من جزيرة العرب . فقد كانت هذه الطبقة عموداً خطيراً من الأعمدة التي يقوم عليها بنيان الاقتصاد في ذلك العهد ، فهي بالنسبة لذلك العهد الآلات المنتجة والمعامل المهمة لأصحاب الأموال وللسادة الأثرياء ، تؤدي ما يطلب منها القيام به وما يراد منها انتاجه بأجور زهيدة وبدقة ومهارة لا تتوفر عند الأحرار من العرب . ثم إن الأحرار مهما بلغ حالهم من الفقـر والفاقة كانوا يأنفون من الأعمال الحرفية ونحوها مما يوكل الى هذه الطبقة القيام به ، لأنها في نظرهم من المهن المنحطة التي لا تليق بالرجل الحر مهما كان عليه من فقر وبؤس ، ولهـذا كان لا بد من الاستعانة بالموالي والرقيق للقيام بأكثر متطلبات حياة الانسان .

ويفهم من بيت للشاعر حسان بن ثابت في قصيدة رثى بها النبي ، وهو :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد[2]

أنه كان في يثرب نفر من النصارى كما كان بها قوم من يهود . وذكر أن النصارى كانوا يسكنون في يثرب في موضع يقال له : سوق النبط[3] .

ولعل هـذه السوق هي الموضع الذي كان ينزل فيه نبط الشأم الـذين كانوا يقصدون المدينة للاتجار في الحبوب ، فصارت موضعاً لسكنى هـؤلاء النصارى ، ونسب اليهم[4] . وقد ورد أن عمر بن الخطاب استعمل أبا زبيد الشاعر النصراني على صدقات قومه ، وأن أبا زبيد هذا كان مقرباً من الخليفـة عثمان بن عفّان من بعده[5] .

وقد كان (أبو عامر) الراهب الذي تحدثت عنه أثناء حديثي عن الأحناف،

---

١ السنن الكبرى (٩/١٨٢ وما بعدها) .
٢ ديوان حسان (٥٩) « تحقيق هرشفلد » .
٣ Nallino, Raccolta, III, p. 140.
٤ البخاري (٣/٤١ وما بعدها) ، النصرانية (٤٤٩) .
٥ النصرانية (٤٤٩) .

ممن اعتنق النصرانيـــة ، ومن أهل يثرب . ويظهر أنه كان قد تمكن من إقناع بعض شباب الأوس من اعتناق دينه ، بدليل ما ذكره علماء التفسير من أنه لمـــا خرج من يثرب مغاضباً للرسول ، وذهب الى مكة ، مؤيـداً إياهم ومحرضاً لهم على محاربة الرسول أخذ معه خمسين أو خمسة عشر رجلاً من الأوس ، على مـا ذكره علماء التفسير ، فلما أيس من نجاح أهل مكة في القضاء عـــلى الرسول فرّ الى بلاد الشأم على نحو ما ذكرت ، ليطلب مدداً من الروم يعينه في زحفـه على المدينة . وأنا لا استبعد احتمال وجود أناس آخرين من أهل يثرب كانوا قد دخلوا في النصرانية ودعوا اليها ، واحتمال وجود مبشرين فيها ، كانوا يسعون لادخـال أهلها في دين عيسى ، يؤيدهم ويمدّهم بالمال والمعونة الروم حكام بلاد الشأم .

وكان بين سكّان مكة عند ظهور الإسلام جماعة من النصارى هم من الغرباء النازحين اليها ، لأسباب ، منهـــا : الرق ، والاتجار ، والتبشير ، والحرفة . فأما الرقيق ، فمنهم الأسوّد والأبيض: الأسود من إفريقية ، والأبيض من أوروبة ، أو من أقطار الشرق الأدنى ، وهم أعلى في المنزلة وفي السعر من النوع الأول ، وهم بحكم قانون ذلك العهد وعرفه تبع لسادتهم وفي ملك يمينهم ، يقومون بالأعمال التي توكل اليهم ، ليس لهم التصرف إلا بأمرهم ، فهم في الواقع بضاعة يتصرف بها صاحبها كيف يشاء ، ليس لها صوت ولا رأي ، إن أبق المملوك قتـــل ، أو أنزل به العقاب الذي يراه ويختاره صاحبه ومالكه .

وبين الرقيق الأبيض خاصة نفر كانوا على درجة من الفهم والمعرفة ، يعرفون القراءة والكتابة ، ولهم اطلاع في شؤون دينهم ومعارف ذلك العهد . ولهذا أوكل اليهم القيام بالأعمال التي تحتاج الى مهارة وخبرة وذكاء . وقد كان حالهم لذلك أحسن من حال غيرهم من الأرقاء . ومنهم من كان يشرح لسادتهم أمور دينهم وأحوال بلادهم ، ويقصون عليهم ما حفظوه ووعوه من أخبار الماضين وقصص الراحلين ، وأكثرهم ممن كانت ألسنتهم لم تتروض بعـــد على النطق بالعربية ، فكانوا يرطنون بها ، أو يتلعثمون ، ومنهم من كان لا يعرف شيئاً منهـا ، أو لا يعرف منها إلا القليل من الكلمات .

ومن هؤلاء رجل نصراني كان بمكة قيل إن اسمه : سلمان ، أو يسار ، أو جبر ، أو يعيش ، أو بلعام ، ادعى أهل مكة أنه كان هو الذي يلقن الرسول

ما كان يقوله للناس من رسالته ، وأنه هو الذي كان يعلمه . وقد أشير الى قول قريش هذا في الآية : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجميّ ، وهذا لسان عربي مبين »[1] . ومن روى من المفسرين أن اسمه جبر ، قال : إنه كان غلاماً لعامر بن الحضرمي ، وأنه كان قد قرأ التوراة والانجيل[2] ، وكان الرسول يجلس اليه عند المروة الى مبيعته ، « فكانوا : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام الحضرمي »[3] .

ومن هؤلاء من زعم انه كان قيناً لبني الحضرمي ، وانه كان قد جمع الكتب ، وهو رومي ، فكان رسول الله يأتي اليه ويجتمع به ، فكان المشركون يقولون : انه يتعلم من هذا الرومي ! وذكر بعض الرواة ان (آل الحضرمي) كانوا يملكون عبدين ، هما : جبر ويسار ، فكانا يقرآن التوراة والكتب بلسانهما ، فكان الرسول يمر عليهما فيقوم يستمع منهما . وقيل انهما كانا من أهل (عين التمر) ، وانهما كانا يصنعان السيوف بمكة ، وكانا يقرآن التوراة والانجيل ، فربما مر بهما النبي ، وهما يقرآن فيقف ويستمع . وأما من قال ان اسمه (يعيش) ، فذكر انه كان مولى لحويطب بن عبد العزى . وأما من ذكر ان اسمه (بلعام) ، فقال انه كان قيناً رومياً بمكة وكان نصرانياً أعجمي اللسان ، « فكان المشركون يرون رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده ، فقالوا انما يعلمه بلعام »[4] . ومهما اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل فإنهم اتفقوا على انه كان أعجمي الأصل ، نصرانياً ، يقرأ الكتب ، وانه كان بمكة نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية يقرأون ويكتبون .

والى هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص ، أعني : يعيش ويقال عائش أو عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وجبر مولى عامر ، أشير في القرآن الكريم ، في الآية : « وقال الذين كفروا : إن هذا إلا

---

١ سورة النحل ، الرقم ١٦ ، الآية ١٠٣ .

٢ تفسير الطبري (١٤/١١٩) ، « وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به الا جبر النصراني ، غلام ابن الحضرمي » ، روح المعاني (١٤/٢١٢ وما بعدها) ، ابن هشام (١/٤٢٠) .

٣ تفسير الطبري (١٤/١٢٠) ، روح المعاني (١٤/٢١٢) ، ابن هشام (٢٦٠) .

٤ تفسير الطبري (١٤/١١٩) ، روح المعاني (١٤/٢٣٣) ، تفسير الطبرسي (المجلد الثالث ٣٨٦) .

إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون »[1] . وقد ذكر المفسرون ان هؤلاء « كانوا كتابيين يقـــرأون التوراة ، أسلموا ، وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يتعهدهم ، فقيل ما قيل »[2] .

وعرفت أسماء جملة رجال ونساء من هذا الرقيق الذي جيء به الى مكة والى مواضع أخرى من جزيرة العرب . من هؤلاء نسطاس ، ويقصد بذلك أنستاس ، وكان من موالي صفوان بن أمية . و (مينا) (ميناس) ، و (يوحنا) عبد (صهيب الرومي) ، و (صهيب) نفسه لم يكن عربياً ، انما كان من بلاد الشأم في الأصل ، وهو رومي الأصل ولذلك قيل له (مهيب الرومي) . وكان قد جاء مكة فقيراً لا يملك شيئاً ، فأقام بها ، ثم اتصل بعبدالله بن جُدعان التيمي المعروف ، وصار في خدمته ، ولذلك قيل انـه كان مولى من موالي عبدالله بن جدعان . وفي رواية انه كان من (النمر بن قاسط) ، سقط أسيراً في الروم فباعوه ، فاشترى منهم . وقد ورد في حديث : « صهيب سابق الروم » ، فهذا يدل على انه من أصل رومي . وهو من أوائل المسلمين ، يذكر انـه حينما همّ بترك مكة والذهاب الى المدينة بعد هجرة الرسول اليها « قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك !! والله ، لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني جعلت لكم مالي »[3] ، وترك قريشاً ليذهب الى الرسول .

وكان لبني مخزوم الأثرياء جملة جوارٍ يونانيّات ، كما كان لدى العبّاس عم النبي جوار يونانيات ، وأشير الى وجود جوارٍ فارسيات . وكان هذا الرقيق الأبيض ذكوراً وإناثاً من جنسيات متعددة ، منهم من كان من أصـــل رومي ، ومنهم من كـــان من عنصر أوروبي آخر ، ومنهم من كان من الفرس أو من أهل العراق مثـــل نينوى وعين التمر ، ومنهم من كان من بلاد الشأم أو من أقباط مصر ، وهم على النصرانية في الغالب[4] .

---

١ الفرقان ، الرقم ٢٥ ، الآية ٤ .
٢ تفسير الطبري (١٨/١٣٧ وما بعدها) ، روح المعاني (١٨/٢٣٤ وما بعدها) ، مجمع البيان (٧/١٦١) ، (طهران) ، (الجزء الثامن عشر) ، (سورة الفرقان) .
٣ ابن هشام (٢/٨٩) ، الاصابة (٢/١٨٨) ، (الرقم ٤١٠٤) .
٤ المشرق ، السنة الخامسة والثلاثون ١٩٣٧ (ص ٨٨ وما بعدها) .

وقد كانت في مكة عند ظهور الإسلام جالية كبيرة كثيرة العدد من العبيد ، عرفوا بـ (الأحابيش) . وبين هؤلاء عدد كبير من النصارى ، استوردوا للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة . وقد ترك هؤلاء الأحابيش أثراً في لغة أهل مكة ، يظهر في وجود عدد من الكلمات الحبشية فيها في مثل المصطلحات الدينية والأدوات التي يحتاج اليها في الصناعات وفي الأعمال اليدوية التي يقوم بأدائها العبيد . وقد أشار العلماء الى عدد من هذه الكلمات ذكروا أنها تعربت ، فصارت من الكلام العربي . وقد أشاروا الى ورود بعضها في القرآن الكريم وفي الحديث[1] .

ويشير أهل الأخبار الى ورود بعض الرهبان والشمامسة الى مكة . وقد كان من بينهم من يقوم بالتطبيب . وقد ذكر الأخباريون أن شماساً كان قد قصد مكة ، فعجب الناس به ، وقد سمّوا أحدهم به ، هو عثمان بن الشّريد بن سويد ابن هرمي بن عامر بن مخزوم ، فقالوا له : (شماس)[2] .

وذكر (اليعقوبي) ، ان ممن تنصر من أحياء العرب ، قوم من قريش من بني (أسد بن عبد العزى) ، منهم (عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى)[3] . وقد ورد في بعض الأخبار انه قدم على قيصر ، فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . وان قيصر ملكه على مكة . ومنحه براءة بذلك ، واعترف به . وقد سبق ان تحدثت عنه في اثناء كلامي على مكة . وقد ذكرت ان من الصعب تصور بلوغ نفوذ القيصر هذا الحد من جزيرة العرب ، فلم يتجاوز نفوذ الروم الفعلي في وقت ما من الأوقات أعالي الحجاز . ولكن ذلك لا يمنع من تقرب السادات وتزلفهم الى عمال الروم وموظفيهم في بلاد الشأم ، باظهار انهم من المخلصين لهم المحبين للروم ، وانهم من كبار السادات ذوي المكانة والنفوذ ، للحصول على مكاسب مادية ومعنوية منهم ، تجعل لهم مكانة عند أتباعهم وجاهاً ومنزلة ونفوذاً على القبائل الأخرى . وقد كان الروم يعرفون ذلك معرفة جيدة ، بفضل دراستهم لنفسية الأعراب ، ووقوفهم على طبائع سادات القبائل ، فكانوا يشجعون هذا النوع من التودد السياسي لكسب العرب وجرهم الى جانبهم .

---

١ « فقال : يا أم خالد ، هذا سناه ، وسناه بالحبشية حسنة » ، أسد الغابة (٥/ ٥٧٩) ، المعرب (٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٥٢) ، صحيح مسلم (٢/ ١٨٩) .

٢ ابن هشام (٢/ ٣٢٩) ، « من حضر بدرا من بني مخزوم » ، المشرق ، السنة الخامسة والنلانون ، ١٩٣٧ (ص ٩٠ وما بعدها) ، كتاب نسب قريش (٣٤٢) .

٣ اليعقوبي (١/ ٢٢٧) ، (أديان العرب) .

وعدّ (ورقة بن نوفل) في جملة المتنصرين في بعض الروايات ، فقد ذكر انه « تنصر واستحكم في النصرانية ، وقرأ الكتب ، ومات عليها »[1] .

وقد استدل (شيخو) من الخبر المروى عن الصور التي قيل إنها صور الرسل والأنبياء وبينها صورة المسيح ومريم ، والتي ذكر أنها كانت مرسومة على جدران الكعبة ، على أنها هي الدليل على أثر النصرانية بمكة . استدل على فكرته هذه بخبر خلاصته أن الرسول حينما أمر فطمست تلك الصور ، استثنى منها صورة عيسى وأمه مريم ، وبخبر ثان ورد عن تمثال لمريم مزوّق بالحلي وفي حجرها عيسى ، باد في الحريق الذي شب في عصر (ابن الزبير) ، وبخبر ثالث عن امرأة من غسان قيل إنها (حجت في حاج العرب ، فلما رأت صورة مريم في الكعبة ، قالت : بأبي أنتِ وأمي : إنك لعربية . فأمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمحو تلك الصور ، إلا ما كان من صورة عيسى ومريم »[2] .

وكان في الطائف نفر من الموالي كانوا على دين النصرانية ، لم يتعرض سادتهم كسائر رجال الأماكن الأخرى من الحجاز لدينهم ، فتركوهم على دينهم يقيمون شعائرهم الدينية على نحو ما يشاؤون . من هؤلاء (عدّاس) ، وكان من أهل نينوى ، أوقعه حظه في الأسر ، فبيع في سوق الرقيق ، وجيء به الى الطائف فصار مملوكاً لعتبة وشيبة ابني ربيعة . وعند مجيء الرسول الى الطائف عارضاً نفسه على ثقيف أهلها ، كان هو في جملة من تكلم اليه[3] . ومنهم الأزرق ، ذكر أنه كان عبداً رومياً حداداً،وانه هو أبو نافع الأزرق الخارجي الذي ينتمي اليه الأزارقة . وهناك روايات تنفي وجود صلة لهذا الأزرق بالأزرق والد نافع المذكور[4] .

وأما الحديث عن النصرانية في اليمن،فهو حديث غامض أوله ، مبهم أصله ، لا نعرف متى نبدأ به على وجه التحقيق . فليس لدينا نص بالمسند يشير الى مبدأ

---

١ اليعقوبي (١/٢٩٨) ، (ليدن) ، المحبر (١٧١) ، ابن هشام (١/٢٤٣ ، ٢٥٠ وما بعدها) ، النصرانية (١/١١٩) ، المشرق ، السنة الخامسة والثلاثون ، ١٩٣٧ (ص ٢٧٢) .

٢ النصرانية (ص ١١٧) .

٣ ابن هشام (٢/٣٠) ، أسد الغابة (٣/٢٨٩) ، الاصابة (٢/٤٥٩) ، (الرقم ٥٤٧٠) ، النصرانية (٤٥٢) .

٤ البلاذري (٦٢) .

دخول النصرانية العربية الجنوبية.وما لدينا من كتابات مما له بعض العلاقة بالنصرانية انما دوّن في الحقبة المتأخرة من تأريخ اليمن ، وفي أيام الحبشة في اليمن ، وهو ساكت في الجملة عن المبدأ وعن المبشرين بالنصرانية في العربية الجنوبية . فليس لدينا من بين نصوص المسند في هذا الباب عون ولا سند .

وليس لنا اذن إلاّ أن نفعل ما فعلناه بالنسبة الى اليهودية ، فنرجع الى الموارد الاسلامية والنصرانية لنرى رأيها في هذا الباب .

وتزعم الموارد الاسلامية ان الذي نشر النصرانية في اليمن رجل صالح من بقايا أهل دين عيسى اسمه (فيميون) Faymiyon = Phemion [1] ، وكان رجلاً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة سائحاً ينزل القرى لا يعرف بقريـــة إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بنّاءً يعمل الطين وكان يعظم الأحد : إذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئـــاً . ففطن لشأنه في قرية من قرى الشأم رجل من أهلها اسمـــه (صالح) ، فأحبه واتبعه على دينه ورافقه . وانصرف ومعه صالح من ضواحي الشأم حتى وطئا بعض أرض العرب، فعـدا عليهما ، فاختطفتهما سيارة من بعض العـرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران . وأهلها من بني الحارث بن كعب من بني كهـــلان . وكانوا يعبدون العزى على صورة نخلة طويلة بين أظهرهم . فابتاع رجل من أشرافهم (فيميون)، وابتاع رجل آخر صالحاً ، وقد أعجب صاحب فيميون بـــه ، لما رآه فيه من صلاح وورع ، فـآمن بدينه ، وآمن أهل نجران منذ ذلك الحين بالنصرانية لمعجزة قام بها (فيميون) ، حينما دعا الله يوم عيد العزى ان يرسل عليها ريحاً صرصراً عاتية تُنحّي عليها . فأتت الريح عليها فجعفتها من أصلها فألقتها ، فـآمن بدينه أهل نجران . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران[2] . ويذكر الطبري ان أهل نجران كانوا يعيدون كل سنة ، « اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كـــل ثوب حسن وجدوه ، وحليّ النساء . ثم خرجوا ، فعكفوا عليها يوماً »[3] .

ويظن أن (فيميون) كلمة يونانية في الأصل حرفت من أصل Euphemion .

---

١ « فيميون » « قميون » « ميمون » .

٢ الطبري (٢/١٠٣ وما بعدها) ، ابن هشام (٢٠ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/١٧١) ، البيضاوي (٢/٣٩٥) ، ابن خلدون (٢/٥٩) .

٣ الطبري (٢/١٢٠ وما بعدها) « دار المعارف » .

وزعم أن (فيميون) عين أحـــد النجرانيين واسمه (عبدالله بن الثامر) رئيساً عليهم ، وجعلهم تحت رعاية أسقف اسمه (بولس)[1] .

وقد ذكر (الأزرقي) أن أهل نجران كانوا من أشلاء سبأ « وكانوا على دين النصرانية على أصل حكم الانجيل ، وبقايا من دين الحواريين ، ولهم رأس يقال له : عبدالله بن ثامر »[2] .

وتذكر رواية اسلامية أخرى أن أهل نجران كانوا أهل شرك، يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ساحر يعلم غلمان أهـــل نجران السحر ، وكان أحد رجال نجران واسمه (الثامر) يرسل ابنه (عبدالله) مع غلمان أهـل نجران الى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فكان يمر على صاحب خيمة بين نجران وتلك القرية ، وقد أعجبه ما رآه من صلاته وعبادته وتقواه ، فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى دخل في دينه ، وصار يدعو اليه بين أهل بلده . فمن ثم انتشرت النصرانية في نجران ، وظهرت على الوثنية[3] .

وتذكر هذه الرواية ، ان (عبدالله‌بن‌الثامر) ، أخذ من ثم يبشر بالنصرانية ، ويأتي بالمعجزات إذ يشفي المرضى « حتى لم يبق أحـــد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفي ، حتى رفع شأنه الى ملك نجران . فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهـــل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ! قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس ، وجعل يبعث به الى ميـــاه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك . فيُلقى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبدالله بن الثامر : انك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به . فإنك إن فعلت ذلك سلطت علي فقتلتني ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبدالله بن الثامر . ثم ضربه بعصاً في يده فشجّه شجـــة غير كبيرة ، فقتله . فهلك الملك مكانه . واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر »[4].

ولم تصرح هذه الرواية التي يرجع سندها الى (محمد بن كعب بن القرظي)

---

١ Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 31, anm., I, O'leary, p. 143.
٢ أخبار مكة (١/٨١) .
٣ الطبري (٢/١٢١ وما بعدها) « دار المعارف » ـ
٤ الطبري (٢/١٢٢) « دار المعارف » .

وبعض أهل نجران ، باسم الرجل الصالح الـذي أخذ منه (عبدالله بن الثامر) نصرانيته . وقد نبّه الى ذلك الطبري ، في اثناء سرده لها ، فقال : « ولم يسموه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه »[1] .

وقد صيرت بعض الروايات (عبدالله بن الثامر) في جملة من قتلهم (ذو نواس) من النصارى ، غـير ان (الطبري) ، نبه الى خطل هذا البعض ، وبيّن ان (عبدالله) كان قد قتل قبل ذلك ، قتله ملك كان قبله ، هو كان أصل ذلك الدين[2] .

وهناك قصة ذكرها (ابن اسحاق) ، تزعم أن رجلاً حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجاته ، فوجد عبدالله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخرت يده عنها انثعبت دماً ، واذا أرسلت يده ردّها عليها ، فأمسك دمها،وفي يده خاتم ، فأقر على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ، وكان ذلك بأمر عمر بن الخطاب[3] .

والظاهر أن النجرانيين ، لم ينسوا رئيسهم (عبدالله بن الثامر) حتى بعـد اسلامهم ، فرووا عنه هذا القصص وصيروه على هذه الصورة التي روتها القصة . ويظهر أنه قتل ، فصير شهيداً من الشهداء ، لأنه قتل في سبيل دينه وفي سبيل نشره بين النجرانيين .

وزعم بعض الأخباريين أن الذي أدخل النصرانية ونشرها في الحميريين ، هو التبع عبـد كلال بن مثوب : أخذ التبع نصرانيته بزعمهم من رجل من غسان ذكروا أنه كان قد قدم عليه من الشام . فلما علمت حمير بتنصر التبع وبتغيير دينه وإعراضه عن عبادتها ، وثبت بالغساني فقتلته[4] . وقد أشير الى تنصره في القصيدة الحميرية[5] .

---

١ الطبري (٢/١٢١ وما بعدها) « دار المعارف » .
٢ الطبري (٢/١٢٣) « دار المعارف » .
٣ الطبري (٢/١٢٤) .
٤ الطبري (٢/٨٦) : « ذكر ما كان من الاحداث في أيام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمالها على العرب وأهل اليمن » ، النصرانية (١/٥٥ وما بعدها) ، Nallino, Raccolta, III, p. 124.
٥ أم أين عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المساح
النصرانية (١/٥٥) .

أما الرواية الأولى فتنسب الى (وهب بن منبه) . وأما الرواية الثانية فتنسب الى (محمد بن كعب القرضي) والى بعض أهل نجران لم يصرح (ابن اسحاق) بذكر أسمائهم ، فالروايتان اذن من مورد واحد هو أهل الكتاب[1] . فوهب بن منبه من مسلمة يهود . وأما محمد بن كعب بن أسد القرظي المتوفى بين سنة ١١٨ — ١٢٠ للهجرة ، فهو من أصل يهودي كذلك ، من قريظة حلفاء الأوس، وقريظة يهود . وكان مثل وهب قاصاً من القصاص يقص في المسجد . وقد جرّ قصصه هذا عليه البلايا ، فكان يقص في المسجد فسقط عليه السقف فمات[2] .

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظي سبيلها الى تأريخ الطبري عن طريق سيرة ابن اسحاق ، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق صاحب السيرة الذي أخذ منه بلا واسطة كما أخذ منه بالواسطة . أما الأخبار المروية عنه ، فهي في سير الرسل والأنبياء ، وفي انتشار اليهودية والنصرانية في اليمن ، وفي الأمور التي تخص اليهود في الحجاز[3] . وكان من المقربين الى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة . فلما ولي الخلافة ، كان يذهب اليه ويتحدث معه في الزهد وفي القصص الذي يحمل طابع الاسرائيليات وفي التفسير الذي اشتهر به[4] .

فناقل النصرانية الى نجران اذن رجل غريب جاء الى البلد من ديار الشأم على رواية (وهب بن منبه) . ويرجع (أوليري) هذه الرواية الى أصل يرى جذوره في السريانية[5] . واسم هذا الرجل الصالح غير عربي بالطبع . فلعله من المبشرين الذين كانوا يطوفون بين ديار العرب للتبشير .

ولا يستبعد أن يكون المبشرون قد أدخلوا النصرانية الى اليمن عن طريق الحجاز،

---

١ الطبري (٢/١٠٤) ، تفسير الطبري (٣٠/٨٥) ،
Nallino, Raccolta, Di Scritti, III, 1941, p. 124.

٢ راجع ما كتبته عنه في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الاول ، ١٩٥٠ ، (ص ١٩٨) ، وتهذيب التهذيب (٩/٤٢٠) ، عيون الاخبار (١/٢٠١ ، ٢٦٤) (٢/١٤ ، ٣٤٣) ، (٣/٤) .

٣ الطبري (١/١٣٨) ، (٢/١٠٤) ، ورد اسمه في «٢٩» موضعا من تأريخ الطبرى .

٤ ابن سعد ، طبقات (٥/٢٧٢ فما بعدها) ، مجلد ٧ قسم ٢ ص ١٩٤ ، عيون الاخبار (٢/٣٤٣) ، (٣/٤) .

٥ O'leary, p. 143.

فقد كانوا يتنقلون بين العرب لنشر هذا الدين . وليس بمستبعد أيضاً أن يكون قد دخـــل عن طريق الساحل أيضاً مع السفن . فقد كان المبشرون يتنقلون مع البحارة والتجار لنشر النصرانية ، وقد تمكنوا بمعونة الحكومة البيزنطية من تأسيس جملة كنائس على سواحل جزيرة العرب وفي سقطرى والهند . كما لا يستبعد أن يكون للمبشرين الذين جاؤوا من العراق كما تذكر بعض الموارد النصرانية السريانية دخل في نشر النصرانية في اليمن . ولا سيما نشر النسطورية في تلك البلاد .

وأما الموارد النصرانية ، فإنها مختلفة فيما بينها في أول من أدخل النصرانية الى اليمن ، فالموارد اليونانية ترى رأيـــاً ، والموارد السريانية ترى رأيـاً ، والموارد الحبشية ترى رأياً آخر ، يختلف عن الرأيين . وكل رأي من هذه الآراء الثلاثة يرجع شرف نشر النصرانية في اليمن اليه .

يحدثنا كتبة التواريخ الكنسية من اليونان أن القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل في عـــام (٣٥٤) للميلاد (ثيوفيلوس اندس) Theophilus Indus ، أي (ثيوفيلوس الهندي) ، من جزيرة سرنديب أي سيلان الى العربية الجنوبية للتبشير بالنصرانية بين الناس . وقـــد تمكن من انشاء كنيسة في عدن وأخرى في ظفار وثالثة في هرمز ،وعين للمتنصرين رئيساً ثم رحل . وصارت ظفار في سنة ٣٥٦ م مقراً لرئيس أساقفة يشرف على شؤون نصارى نجران وهرمز وسقطرى[1] . وقـــد عثر على مقربة من خرائب ظفار على أعمدة من الطراز (الكورنثي) وعـلى بقايا تيجانها وعليها نقوش صلبان يظهر أنها من مخلفات تلك الكنائس القديمة التي شيدت بمساعدة البعثات التبشيرية وفي أيام الحبشة في اليمن[2] .

وزعـــم (فيلوستورجيوس) Philostorgius ان هذا الشعب الـــذي بشّر (ثيوفيلوس) بين أفراده بالنصرانية ، شعب هندي ، وكان يدعى سابقاً باسم شعب (سبأ) نسبة الى عاصمته سبأ ويعرف اليوم باسم حمير Homeritae [3] . وقد توهم

---

١ « تاوفيل الهندي » النصرانية (١/٥٦) ،
Alt kult., S. 148, Philostorgius, Historia Ecclesiastica, III, 46, Hugh Scott, in the High Yemen, 1947, p. 211, Mordtmann, Miscellen zur himjarischen Alterthumskunde, in ZDMG., 1877, XXXI, S. 64. ff., Migne, Petr. Grea., LXV, Col, 459-637, Conti Rossini, un documento, p. 710.

٢ Alt. Kult., S. 148, Nallino, Raccolta, III, p. 133, Bury, History of the Roman Empire, II, p. 322.

٣ Philostorgius, I, II, 6, ZDMG., 31, 1877, S. 65.

عدد من الكتبة (الكلاسيكيين) فحسبوا الحميريين من الهنود ، كما ان بعضاً منهم ظنوا ان السبئيين من (الكوشيين) الحبش ، والذي أوقعهم في هذا الوهم هو صلات هؤلاء بافريقية وبالهند ، ولوقوع بلادهم على المحيط الهندي وعلى مقربة من افريقية [1] .

وجاء في رواية أخرى ان القيصر (قسطنطين) الثاني أرسل (ثيوفيلوس) الى ملك حمير Homeritae ونجاشي الحبشة Axume وذلك في عام (٣٥٦) للميلاد. برسائل كتبها القيصر الى الملكين . فلما أنهى مهمته لدى ملك حمير ، انتهز هذه الفرصة فزار وطنه الهنـــد ، ثم عاد فذهب إلى الحبشة . وعاد منها فذهب الى أنطاكية Antiochia ومنها الى القسطنطنية [2] . ويظهر من هذه الرواية ان مهمته هذه لم تكن مهمة دينية ، انما كانت ذات طابع سياسي ، الغايـة منها ضم حمير والأحباش إلى معسكر البيزنطيين .

وقد كان من مصلحة الحكومة البيزنطية بعد دخول القيصر (قسطنطين) في النصرانية عام (٣١٣) للميلاد واتخاذها ديانة رسمية للدولة ، ان ينشر هذا الدين ويكثر أتباعه ، لما في ذلك من فوائد سياسية ومصالح اقتصادية ،فضلاً عن الأثر العميق الذي يتركه هذا العمل في نفوس أتباعه المؤمنين مما يرفع من مكانة القياصرة في نفوس الشعب ويقوي من مراكزهم ونفوذهم على الكنيسة والرعية . وبمساعدة هؤلاء القياصرة تمكن المبشرون من انشاء ثلاث كنائس في (ظفار) و (عدن) و (هرمز) [3] .

ولم يكن يقصد (قسطنطين) كما يرى المستشرق (روسيني) من إرسال الوفد الذي ترأسه (ثيوفيلوس) الى ملك حمير ، هدفاً دينياً محضاً ، وإنمـــا أراد أن يعقد معاهدة تجارية مع الحميريين ويحقق له منافع اقتصادية وسياسية . بأن يحقـق له التجارة البحرية ، ويحرض اليمانيين عـلى الفرس ويدخلهم في معسكره بدخولهم

---

١ النصرانية (١/٥٣ وما بعدها) .

٢ Paulys — Wissowa, Zweite Reike, Zehuter Halbband, S. 2167, Philostorgius, Hist. Eccli., II, 6, Kidd, A History of the Church, II, 161, III, 429, Bury, History of the later Roman Empire, II, p. 322.

٣ Ency. of Relig. and Ethi., III, p. 589, Franz Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S. 12.

في النصرانية التي تجمع عندئذ بينهم وبين الروم[1] .

وورد في رواية أخرى أن الحميريين Homeritae دخلوا في عهد (انسطاس) (انسطاسيوس) (٤٩١ – ٥١٨ م) في النصرانية . وذكر أيضاً أنـــه كان في جملة من قصدوا القديس (سمعان العمودي) رجال من عرب حمير ، وقد رآهم (تاودوريطس) في القرن الخامس للميلاد[2] .

وأما الموارد السريانية ، ومنها الموارد النسطورية ، فتزعم أن تاجراً من أهل نجران اسمه (حنان) أو (حيّان) ، قام في أيام (يزدجرد) الأول (٣٩٩ – ٤٢٠ للميلاد) بسفرة تجارية الى القسطنطنية ، ثم ذهب منها الى الحيرة ،وفيها تلقن مبادىء النصرانية ودخل فيها . فلما عاد منها الى نجران ، بشر فيها بالنصرانية حتى تمكن من نشرها بين حمير . وترجع تواريخ البطارقة هـــذه الحادثة الى أيام بطرقة (معنى) Ma'na الموافقة لحوالى سنة (٤٢٠) بعد الميلاد[3] . وذكر أنه في عهد البطريق (سيلاس) Silas (٥٠٥ – ٥٢٣ م) ، هرب لاجئـــون من اليعاقبة Jakobiten الى الحيرة ، غير أن النساطرة أجلوهم عنها ،فذهب قسم منهم الى نجران ، فنشروا مذهبهم بين السكان[4] .

وتشير الأخبار الكنسية أيضاً الى أن رسولي الكلدان الأولين: (ادي) و (ماري) كانا قد سارا الى بلاد العرب سكان الخيام ، والى نجران وجزائر بحر اليمـــن . وجاء في المصحف الناموسي : « وبشر الجزيرة والموصل وأرض السواد كلها وما يليها من أرض التيمن كلها وبلاد العرب،سكان الخيام والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن مارى الذي من السبعين »[5] .

وللحبش قصص عن انتشار النصرانية في نجران ، خلاصتها : ان قديساً اسمه

---

١ النصرانية (١/٥٩) ،
Conti Rossini, un documento sul Cristianesimo nello iemen, p. 710.

٢ النصرانية (١/٥٧ وما بعدها) ،
Mordtmann, in ZDMG., XXXI, 1877, S. 65, Theodorus, Lector, Histo. Eccl., I, II, p. 567, (ed. Valesius and Nicephorus Callistus).

٣ Chronik von Séert, II, 149, ABM, 22, Eduard Sachau, zur ausbreitung des Christentums in Asien, Berlin, 1919, S. 68.

٤ Chronik von Séert, II, 144.

٥ النصرانية (١/٥٨) .

(ازقير) Azkir ، أقام كنيسة ورفع الصليب وبشّر بالنصرانية في نجران ، وذلك في ايام الملك (شرحبيل ينكف) ملك حمير ، فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) و (ذو قيفان) ، وأرسلا رجالهما إلى المدينة لهدم الكنيسة وانزال الصليب والقبض على القديس ، ففعلوا وألقوا به في غياهب السجن . وفي اثنـــاء اقامته فيه هدى قوماً من السجنـــاء إلى النصرانية بفعـــل المعجزات التي قام بها ، فغضب الملك (شرحبيل) عليه ، وأرسل الى القيلين اللذين كانا في نجران ان يرسلا اليه هذا الرجل الذي فتن الناس ، فأرسل مخفوراً اليه . وفي اثناء اجتيازه الطريق إلى عاصمة الملك ظهرت منه معجزات خارقة ، آمن بها عدد ممن رافقوه أو وقفوا على أحواله وتعمّدوا على يديه . فلما وصل إلى (ظفار) عاصمة (شرحبيل) ، انتهره الملك وحاجه في دينه وعرض عليه كتب (يهود) ، ثم أغراه بالذهب والمال ، فقال له القديس : « الذهب والفضة فانيان ، أما كرستس ساكن السماء فباق » . وقد حرضه عليه أحد الأحبار ، فأمر الملك عندئذ بارساله إلى نجران لقتله . فلما بلغ المدينة ، قتله اليهود ، فمات شهيداً في سبيل دينه[1].

وتزعم الرواية الحبشية ان نصارى اليمن كانوا يرسلون بهداياهم إلى النجاشي وبالضرائب يدفعونها اليه[2] .

وذكر ان أحد الأساقفة ممن كان في اليمن ، كان قد اشترك في أعمال مجمع (نيقية) الذي انعقد سنة ٣٢٥ للميلاد[3] . وإذا صح هذا الخبر ، فإنه يعني ان النصرانية كانت قد وجدت لها سبيلاً إلى اليمن في القرن الرابع للميلاد .

يتبين من هذه الأخبار أن النصرانية لم تدخل العربية الجنوبية من طريق واحد، وإنما دخلتها من الـــبر ومن البحر ، دخلتها من البر من ديار الشأم الى الحجاز فاليمن ، ومن العراق أيضاً مع القوافل التجارية المستمرة التي كانت بـــين اليمن والعراق . ودخلتها من البحر بواسطة السفن اليونانية ودخلتهـــا مع الحبشة كذلك الذين كانوا على اتصال دائم باليمن وبقية العربية الجنوبية منذ أيام ما قبل الميلاد .

---

١ Winckler, AOF., IV, 1896, S. 329. ff., British Museum Orient., 686, 687, 688, 689.

٢ Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 50.

٣ النصرانية (١/٥٧) ،
Nallino, Raccolta, III, p. 122, Caetani, Annali, I, p. 125.

وقد كانت نجران أهم موطن للنصرانية في اليمن ، ولعلها الموطن الوحيد الذي رسخت هذه الديانة فيه في هذه البلاد . وقد اشتهرت نجران بالحادثة التي وقعت فيها ، حادثة تعذيب النصارى ، وبما ذكره أهل الأخبار عن الكنيسة التي أنشأها الأحباش فيها وعرفت بـ (كعبة نجران) عند الأخباريين كما عرفت بـ (بيعة نجران) أيضاً . وفي رواية تنسب الى ابن الكلبي (أنها كانت قبّة من أدم من ثلاث مئة جلد ، كان اذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفد أرفد . وكانت لعظمتها عندهم يسمونها كعبة نجران ، وكانت على نهر نجران ، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل ، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار ، وكانت القبّة تستغرقها »[1] . وكان ينفق عليها من غلّة ذلك النهر .

وورد في رواية أخرى أنها كانت بناء بني على بناء الكعبة . وقد بناها بنو عبد المدّان بن الديّان الحارثي ، بنوها على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة لها . وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ، ودعاهم الى المباهلة[2].

وتذكرنا قصة (ابن الكلبي) عن أصل كعبة نجران ، وأنها كانت من أدم، بما نعرفه عن خيمة (يهوه) إلـه العبرانيين ، وتعبد الاسرائيليين له فيها قبل بناء الهيكل ، واعتقادهم أنها خيمة مقدسة ، وبما نعرفه من خيم القبائل المقدسة ، وذلك لأنها كانت بيوتاً توضع فيها الأصنام ويتعبد أفراد القبيلة بها ، فإذا ارتحلوا الى مكان جديد نقلوا خيمتهم معهم. والظاهر ان كعبة نجران المذكورة، إن صحت رواية ابن الكلبي ، كانت من هذا النوع ، خيمة مقدسة في الأصل وذلك قبل دخول أهل نجران في النصرانية ، فلما دخلوها ، لم تذهب عنها قدسيتها ، بل حوّلوها الى كنيسة ، ثم بنوا بيعة في موضعها فيما بعد .

وفي رواية ان قُس بن ساعدة الايادي كان أسقفاً على نجران[3] ، وهي رواية تحتاج الى سند موثوق به ، وقد أخذ بها (شيخو) وأمثاله ممن يرجع كل شيء

---

١ البلدان (٨/١٩٣) ، تاج العروس (١/٤٥٧) ، (٣/٥٥٦) ، ديوان الاعسى (١٢٢) ، (طبعة كاير « Geyer ») ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٢٨٣) . Raccolta, III, p. 127.

٢ البلدان (٨/٦٢٣) « نجران » ، تاج العروس (٣/٥٥٦) .

٣ Raccolta, III, p. 128, Lammens, Califat, p. 332.

من هذا القبيل في الجاهلية إلى النصرانية .

وقد كانت نجران المركز الرئيسي للنصرانية في اليمن عند ظهور الاسلام ، لها نظام سياسي واداري خاص تخضع له ، وعليها : (العاقب) ، وهو كما يقول أهل السير : « أمير القوم ، وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ،والذي لا يصدرون إلا عن رأيه » ، و (السيد) ، وهو « ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم » ، و (الأسقف) ، وهو « حبرهم ، وإمامهم ، وصاحب مدراسهم »[1] . ويقصدون به رئيس نجران الديني الذي اليه يرجعون في أمور الدين . أما العاقب والسيد ، فإليهما ادارة الجماعة ، والإشراف على شؤونهم السياسية والمالية ، وتدبير ما يحتاج المجتمع اليه من بقية الشؤون[2] .

وقد صالح أهل نجران خالد بن الوليد ، في زمن النبي ، في السنة العاشرة من الهجرة ، وبذلك دخل أكثر سكان المدينة في الاسلام . أما من بقي على دينه من النصارى ، فقد فرضت عليه الجزية[3] .

ويذكر أهل السير ان اسم عاقب نجران في ايام النبي ، هو (عبد المسيح) رجل من كندة . وقد قدم على رأس وفد من أهل نجران إلى يثرب ، فقابل الرسول ، وتحدث معه . وكان معه (الأيهم) وهو سيد نجران يومئذ ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، وكان أسقفهم وحبرهم وإمامهم يومئذ ، وله مقام عظيم عندهم ، « وقد شرف فيهم ، ودرس كتبهم حتى حسن علمه بدينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه ، وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه »[4] .

وإذا صح ما رواه أهل الأخبار من أن عاقب نجران كان كندياً ، وأن أسقفها كان من (بكر بن وائل) ،فإن ذلك يدل على أن الرئاسة عند النصارى العرب ،

---

١ ابن هشام (٢/٢٠٤) ، تاج العروس (١/٣٨٩) ، (عقب) ، (٦/١٤١) ، (سقف) ، اللسان (١١/٥٧) ، « وصاحب مدارسهم » ، ابن سعد (١/٣٥٧) .

٢ Raccolta, III, p. 128.

٣ الطبري (٣/١٥٧) ، « حوادث السنة العاشرة » ، البلدان (٨/٢٦١ وما بعدها) .

٤ ابن هشام (٣/٢٠٤) ، تاج العروس (١/٣٨٩) ، اللسان (٢/١٠٥) ، ابن سعد (١/٣٥٨) ، نهاية الارب (١٨/١٢١) .

لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة ، وإنما كانت عن تنسيب واختيار ، وأنا لا استبعد احتمال وجود مراجع دينية عليا ، كانت هي التي تتولى النظر في ادارة الكنائس وفي تعيين رجال الدين وفي النظر في المشكلات التي تقع بين النصارى ، أو بين النصارى وغيرهم ، وفي أمر مساهمة النصارى العرب في المجامع الكنسية التي تنظر في المسائل العامة للطوائف .

ويرى بعض أهل الأخبار أن « السيد والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله » هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران[1] .

ويذكر علماء اللغة ، أن (العاقب) من كل شيء آخره ، والعاقب السيد ، وقيل الذي دون السيد ، وقيل الذي يخلف السيد ، وقيل : الذي يخلف من كان قبله في الخير كالعقوب[2] . والذي أوحى اليهم بهذا التأويل والتفسير ، ظاهر لفظة (عقب) في عربيتنا التي منها اشتقت لفظة (العاقب) على رأيهم . والصحيح أنها لفظة عربية جنوبية وردت في المسند، بمعنى (رئيس) وممثل قوم ، أي رسول قوم ، فورد (عقبت نشقم) ، أي (رئيس) مدينة (نشق)[3] ، وبمعنى ممثل مدينة (نشق)[4] .

وذكر ان نصارى نجران ، أرسلوا العاقب والسيد في نفر لمحاججة رسول الله فيما نزل عليه في المسيح ، من انه عبدالله ، حيث كبر ذلك عليهم سماعه، فأخذوا يخاصمونه ويجادلونه فيه ، وألحوا عليه بالجدل والخصومة ، فدعاهم الى الملاعنة ، فامتنعوا ودعوا الى المصالحة ، فصالحهم[5] . وانه الى ذلك أشير في القرآن الكريم : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم . فقل : تعالوا : ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[6].

---

١ المحبر (١٣١) .
٢ تاج العروس (١/٣٨٩) ، (عقب) .
٣ Jamme 619, Ma Mb 178, Mahram, p. 120.
٤ Jamme, South Arabian Inscription, p. 445.
٥ ارشاد الساري (٦/٤٣٧) .
٦ ال عمران ، الاية رقم ٦١ ، تفسير الطبري (٣/٢٠٩ وما بعدها) ، روح المعاني (٣/١٦٥) ، أمتاع الاسماع (١/٥٠٢) ، الواحدي ، أسباب (٧٤) ، ابن سعد (١ قسم ٢ ص ٨٤) ، ارشاد الساري (٦/٤٣٧) .

وورد أيضاً انه لما بعث رسول الله وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد ، و (مار سرجس) ، و (مار يحز) ، «فسألوه ما يقول في عيسى . فقال : هو عبدالله وروحه وكلمته . قالوا هم : لا،ولكنه هو الله نزل من ملكه ، فدخل في جوف مريم ، ثم خرج منها ، فأرانا قدرته وأمره ، فهل رأيت قط انساناً خلق من غير أب ؟ فأنزل الله ، عز وجل ، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون »[1].

وقد كان لنصارى اليمن كنائس أخرى غير كنيسة (نجران) : فقد كانت لهم كنيسة عظيمة في (صنعاء) ، هي (القليس) التي اكتسبت شهرة عظيمة في كتب الأخبار والتواريخ. وهي كنيسة (أبرهة) ، من أصل (اكلسيا) Ecclysia اليوناني بمعنى الكنيسة ، وموضعها الآن جامع (صنعاء) على ما يظن . وقد أبدع الأحباش في تزيينها وتجميلها ، وأنفقوا عليها مبالغ طائلة .

كما كانت لهم كنائس في (مأرب) و (ظفار) . وقد عهد الأحباش بتدبير شؤون كنيسة (ظفار) الى أسقف شهير يقال له (جرجنسيوس) (جورجيسيوس) (جرجيسيوس) . وهو مؤلف كتاب شرائع الحميريين . ولـه مناظرات مع اليهود[2] .

وقد بقيت النصرانية قائمة في اليمن في أيام الاسلام ، ففي الأخبار الكنسية أن رئيس البطارقة النساطرة (طيموثاوس) ، نصب في أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفاً لنجران وصنعاء ، اسمه (بطرس)[3] . وفي (الفهرست) لابن النديم ، أنه التقى براهب من نجران يدعى حسّان ، كان قد أنفذه الجاثليق الى الصين ، ليتفقد مع خمسة أناسي من النصارى أحوال نصاراها ، فعاد منها سنة (٣٧٧) للهجرة ، وأخبره بعجائب تلك البلاد[4] . وذكر أنه في حوالي سنة ١٢١٠ للميلاد كان في منطقة صنعاء خمسة أساقفة ، وأسقف في مدينة زبيد وأسقف في نجران ، وأنه كان في حوالى سنة ١٢٥٠ للميلاد أسقف في عدن[5] .

---

١ تفسير الطبري (٣/١٩ وما بعدها) .
٢ النصرانية (١/٦٤) . Migne, Patr. Grae., 86, 567-620.
٣ النصرانية (١/٦٧) .
٤ الفهرست (٥٠٤) « مطبعة الاستقامة » .
٥ النصرانية (١/٦٧) .

إن بقاء النصرانية في نجران وفي مواضع من اليمن وأنحـاء أخرى من جزيرة العرب ، وبقاء اليهود في اليمن الى زمن غير بعيد ، يشير الى أن مـا ذهب اليه كثير من المؤرخين من إجلاء أهل الكتاب بأمر الخليفة (عمر) عن جزيرة العرب ثم بقية الخلفاء الذين ساروا على حكم : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» فيه مبالغة[1] . والظاهر أن الاجلاء كان قاصراً على المواضع التي تعرضت فيها جاليات أهل الكتاب فيها للإسلام بسوء . فطبق على جاليات يهود يثرب ومن كان يسكن الى الشمال منهم ، لوقوفهم موقفاً معادياً شديداً من الاسلام ، ولعملهم في إثارة الفتن على المسلمين . ومن يدري فلعلهم ولعل أهل الكتاب عموماً ساعدوا في قيام الردة وتشجيع المتنبين والمرتدين للقضاء على الخطر الذي زعمـوه ، خطر ظهور الاسلام وانتشاره في جزيرة العرب وفي خارجها ، وقيام دولة موحدة كبيرة فيها. ومن يدري أيضاً ، فلعل الروم والأحباش كانوا أيضاً في جملة من كان يحرض أهل الكتاب على الدس للإسلام،وأن بعض من أعلن الردة مثل (النعمان الغرور) وهو نصراني ، وغيره ممن ارتد معه من النصارى ، كانوا قـد تلقوا عوناً من الخارج ، وهذا ما حمل الخليفة على اتباع قاعدة إجلاء الدساسين من أهل الكتاب مهما كان نوعهم عن جزيرة العرب لحماية الاسلام من خطر الفتنة ومـن الردة ، ولم تكن قواعده قد تركزت واستقرت استقراراً تاماً بعد .

إن الذي افهمه من سياسة إجلاء (عمر) لأهل الكتاب ، هو ان ذلك الإجلاء كان خاصاً بالجاليات اليهودية التي كانت تقيم فيما بين فلسطين ويثرب ، وقاصراً عليها ، بسبب وقوفها موقفاً معاديـاً من الاسلام ، أما النصارى فلم تكن لهـم جاليات هناك ، فلم يقع إجلاء لهم فيها . ولكن (عمر) ومن جاء بعده لم يطبقوا الإجلاء على الأسر والأفراد ، بدليل ما نجده في أخبار أهـل الأخبار من وجود أسر وأفراد من يهود ونصارى في يثرب وفي مكة وفي الطائف بعد وفاة عمر .

أما في غير الحجاز من بقية أنحاء جزيرة العرب ، فلم يطبق قانون (عمر) على أهل الكتاب ، بدليل دفع جالياتهم (الجزية) عن رؤوسهم في ايامه الى وفاته ، ثم في ايام من جاء بعده من الخلفاء . فكأن الخليفة ، قد طبق أمر الإجلاء على

---

١ « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاخرجن اليهود والنصارى عن جزيـرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلما » ، البلدان (٨/٢٦٣) .

يهود الحجاز لخوفه من خطر بقائهم في مقر الاسلام وفي مدينة الرسول ومن احتمال عودة من هاجر منهم الى أرضهم وتكتلهم من جديد ، وإثارتهم من لم يكن قد تمكن الاسلام من قلبه بعد ، فيقع للاسلام ما وقع في ايام الرسول من اتصالهم سراً بكفار قريش ، ومن حدوث ردة جديدة ، فقرر إجلاءهم جماعة عن تلك الديار .

النصرانية في بقية مواضع جزيرة العرب :

وكان التجار الروم ينزلون سواحل العربية الجنوبية للتزود منها بالماء وبالطعام وللاتجار مع سكانها ، ومنهم من أقام بها وقضى حياته فيها ، وتعرب . وكان منهم من بشّر بالنصرانية وعمل على نشرها بين السكان . ولعل الحكومة البيزنطية كانت ترسل المبشرين إلى هـذه المواضع للتبشير ، كذلك أرسل نصارى الحيرة المبشرين لنشر نصرانيتهم في العربية الجنوبية[1] . وبعد دخول هذه البلاد في الاسلام احتفظ قوم من النصارى بدينهم ، مقابل دفع الجزية للمسلمين[2] .

وأما اليمامة ، فكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين قراها وقبائلها. ويظهر من شعر للأعشى مدح به (هوذة بن على) حاكمها عند مبعث الرسول ، انه كان نصرانياً منّ على قوم من (تميم) ففك وثاقهم يوم أسروا ، ويوم قتلوا وسط (المشقر) ، ومنّ عليهم (يوم الفصح) ، يرجو الإلـه بما سدى وما صنعا[3] .

وأما العربية الشرقية ، فقد دخلت النصرانية اليها من الشمال ، من العراق في الغالب . ولكن بعض الروم كانوا قد وجدوا سبيلهم اليها ، فدخلوها من البحر أيضاً . فعششت في مواضع منهـا مثل البحرين ، وقطر ، وهجر ، وبعض جزر الخليج . وكانت غالبيـة نصارى هذه الأرضين على مذهب نسطور آخذين هذا المذهب من نصارى الحيرة الذين كانوا على اتصال وثيق بهم ، كما كـان رجال دينهم يسافرون الى هذه المنطقة للتبشير بها ، فزرعوا فيها بذور مذهبهم، ونشروه بين من أقبل على النصرانية من العرب .

---

١ النصرانية (٧٠) .
٢ البلاذري (٨٤) .
٣ ديوان الاعشى (٨٦) ، حواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٥/٢١١) .

ومن رجال البحرين النصارى (الجارود بن عمرو بن حنش المعلى)[1] ، قدم على النبي بالمدينة، فأسلم وأسلم معه أصحابه. وكان حسن الاسلام صلباً حتى هلك، وقد لام قومه ممن انضم الى (المنذر بن النعمان بن المنذر) الغرور، فارتد عن الإسلام وعاد الى دينه الأول[2] . وقد بقي إلى أيام (عمر) في أغلب الروايات والى خلافة عثمان في رواية . واشترك في حروب فارس ، فقتل بها بـ (عقبة الطين)، التي عرفت باسمه ، فقيل لها عقبة الجارود ، وذلك سنة احدى وعشرين في خلافة عمر ، وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن . وقد رووا له شعراً . وكان ولده (المنذر بن الجارود) من رؤساء (عبد القيس) بالبصرة . وحفيده (الحكم بن المنذر) الذي مدحه (الأعشى الحرمازي) بشعر حسده الحجاج عليه[3] .

---

١ ويقال ابن عمرو بن المعلي ، وقيل الجارود بن العلاء ، وورد الجارود بن عمرو بن حنش ، « والجارود لقب بشر بن عمرو بن حنش بن المعلي من بني عبد القيس العبدى الصحابي ، رضي الله عنه . كنيته أبو المنذر ، وقيل أبو غياث ، وهو أصح) ، تاج العروس (٣١٨/٢) ، (جرد) .

٢ الطبري (١٣٦/٣ وما بعدها) ، « قدوم الجارود في وفد عبد القيس » .

٣ الاصابة (٢١٧/١) ، (رقم ١٠٤٢) .